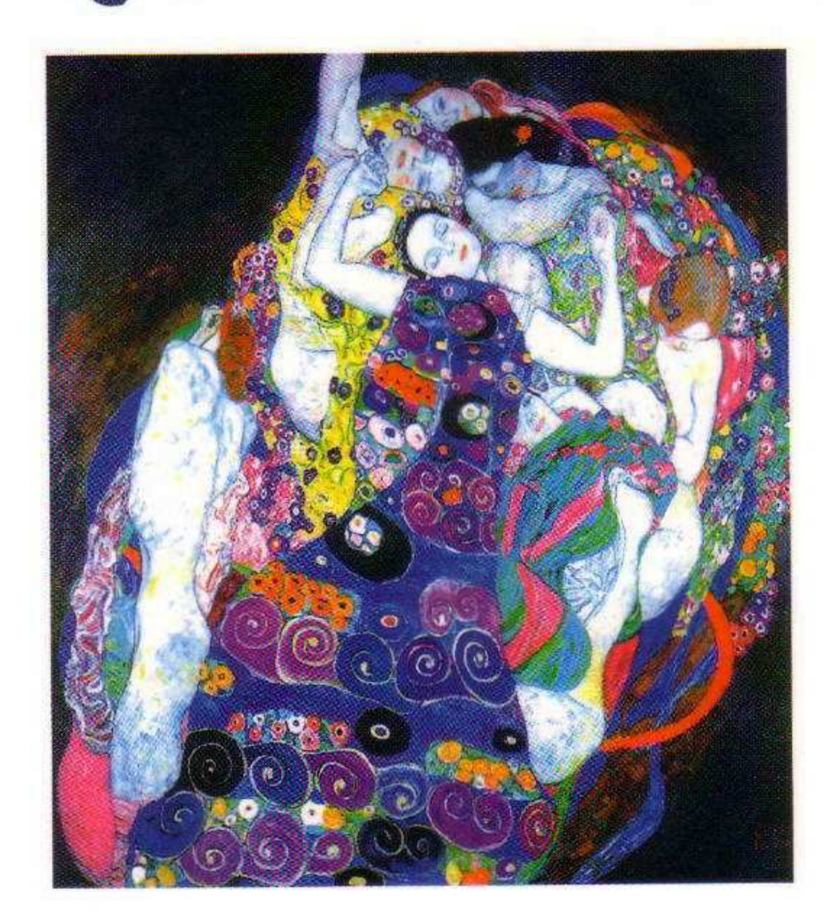
فاطمة الزهراء ازرويل



البغاء أو الجسد المستباح



TARANA

أفريقيا الشرق

المؤلف : فاطمة الزهراء ازرويل

عنوان الكتاب

البغاء أو الجسد المستباح

رقم الإيداع القانوني : 1541/2000
ردمك : 9981-25-201-8

أفريقيا الشرق ــ المغرب

159 مكرر شارع يعقوب المنصور ــ الدار البيضاء
الهاتف : 04 95 25 022 - 13 98 25 022 ــ فاكس : 80 00 44 022
البريد الإلكتروني : **afriqueorient@iam.net.ma** : E-Mail

أفريقيا الشرق ــ بيروت ــ لبنان

ص. ب. 3176 - 11

فاطمة الزهراء ازرويل

البغاء
أو
الجسد المستباح

أفريقيا الشرق

تقديم

لايدّعي هذا البحث تقديم جرد شامل لظاهرة البغاء في المغرب، ولا يعتمد إحصائيات شاملة ودقيقة تؤهله لذلك، ولكنّه يقارب الظاهرة ويلقي الضّوء على عواملها ومترتّباتها في نفس الآن.

لقد اعتمدت على استجوابات تتراوح بين 20 د وساعتين، مع حوالي 60 امرأة تمارس البغاء في الدّار البيضاء، تتراوح أعمارهنّ بين 18 و 38 سنة، ولكنّ أغلبهنّ يدخل في إطار الفئة العمرية (20 - 27 سنة).

سجلت هذه الأحاديث على فترات متباعدة بين سنوات 1985 و 1998، وارتكازا عليها كان هذا البحث، الذي حاولت أن أدرس فيه العوامل الباعثة بالنّساء على ارتياد البغاء بكل مستوياتها، والأطراف المكوّنة لبنيته وطبيعة هذه البنية، قبل أن أستعرض مجموعة من الشهادات التي لا تلقي الضوء على ما ذكرنا فحسب، ولكنّها تكشف في نفس الوقت عن المعاناة الكامنة في عمق المرأة التي تمارس البغاء.

هدفي الأساسي هو لفت الإنتباه إلى ظاهرة سلبية تفاقمت بشكل لافت للنظر، وهي تلقى دعما وتواطؤا من أطراف عدّة، تشجّع على انتشارها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

هدفي هو التّحسيس بالخطورة التي باتت تشكلها على المجتمع ومستقبل أجياله.

شيوع ظاهرة البغاء من أكبر المؤشرات الملموسة على انهيار القيم، النّاجم عن تردّي الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، وانعكاسه على سلوك النّساء وخاصّة الشابّات منهنّ، اللائى كثيرا ما تضطرهنّ الحاجة إلى امتهان الانحراف وتقديم أجسادهن ثمنا للبقاء، أو لتحقيق تطلعات لا سبيل إليها بغير ارتيادهنّ لهذا المسار.

هدفي أيضا هو الكشف عن أبعاد المعاناة الإنسانية، التي تختفي وراء واجهة قد تكون برّاقة وخادعة، ولكنّها معاناة مأسوية لأنّ من يعشنها يستشعرنها بعمق، ويمزّقن عنها الحجب بصيغ مختلفة، ولكنّها على تباينها تقودنا إلى مكامن الجسد المستباح وجراحاته، وتشرع أمامنا الأبواب للمس كل تلك القساوة التي تحيط به، وتنال من إنسانيته.

لا ندرك عمق المأساة التي تعيشها فئة من النساء الشابّات في أغلب الأحيان، اللائي يمارسن البغاء، إذا لم نستمع إليهنّ وهنّ يحكين عن مسار أوقعهنّ في شرك عالم لا يرحم. لم يخل أيّ حديث أجريته معهنّ من اللحظات الصعبة التي تصل حدّ الإختناق والبكاء، وهنّ يحكين عن واقعهنّ، وما يستشعرنه من بؤس داخلي كثيرا ما ينجحن في إخفائه.

تعجز الكلمة المكتوبة عن نقل شحنة تلك المعاناة إلى القارئ، لأنّ المسافة بين الشفوي والمكتوب ليست بالهيّنة، ولأنّ الكتابة تحتفظ دائما بمقدار من البعد عن المتلقّي، وتخلق علاقة نوعيّة به عبر رسم الكلمة ودلالتها، في استقلال عن التأثير المباشر الذي يمارسه الشخص المتكلّم أمامنا.

لعلّ المهمّة الملقاة علينا في مغرب يتوخّى تأسيس دعائم الديمقراطية وحقوق الإنسان، تتمثل في التّصدّي للظواهر السلبيّة التي تنخر

مجتمعنا، والتفكير في الخطط والوسائل العمليّة الكفيلة بالقضاء عليها أو الحدّ منها. لقد آن الأوان لكي نواجه البغاء، ولكي نوجد الأرضية السليمة لكي لا ندفع بنسائنا إليه، ونؤهلهنّ للإندماج في المجتمع حتّى نجنبهنّ خطر الانحراف.

من الملامح الإيجابية والفعّالة في الحركة النّسائيّة المغربية، هي كونها راهنا، بصدد تحقيق منعطف واضح ومتميّز، يتمثل في الاستجابة العمليّة لحاجات النّساء، وخاصّة الفقيرات منهنّ، وربّما قد حان الوقت للتفكير في إنشاء مراكز لإعادة إدماج عدد من النّساء اللائي يمارسن البغاء، ويرغبن في التخلّص منه، ولا يجدن منفذا آخر للعيش، حتّى يكتسبن المؤهلات التي تمكنهنّ من استعادة كرامتهنّ، والتّخلص من شبح الجسد المستباح.. إنّه عمل صعب وشاقّ، ولكنه ليس بالمستحيل.

فاطمة الزهراء ازرويل



مـدخـل

الجسد المستباح

حين يستباح الجسد ويغدو سلعة يستهلكها زبون يدفع مقابلا، يتمّ انتهاك كل القيم الإنسانية المفترض توفّرها في العلاقة بين الرّجل والمرأة. يصبح الجنس مادّة للتجارة والرّبح مقابل العبث بحرمة الجسد والرّوح.

تتكوّن بنية بكاملها حول هذا الجنس - اللاإنساني - لا تشمل المرأة التي تبيع جسدها والزّبون الذي يستهلكه فحسب، ولكنّها تمتدّ إلى كلّ الأطراف التي تتحرّك في ذلك العالم المشبوه المتشعّب المسالك والدّروب. إنّها أطراف تقتات منه أحيانا، وتحقّق من ورائه أرباحا طائلة أحيانا أخرى.

وسطاء من الجنسين، أرباب وربّات بيوت للدّعارة، أصحاب الملاهي والفنادق ومختلف الأماكن التي ترتادها البغايا، سائقو سيّارات الأجرة الذين يقدنهنّ إلى أماكن الدّعارة، الأهل الذين يغضون الطرف ورجال الأمن الذين يتقاضون الرّشوة لإجازة الممنوع... إنّه عالم يحكمه التّواطؤ في مستوياته المتعدّدة، بحيث يحقّق فيه كلّ طرف ضالّته.

كثيرا ما نسمع بأنّ البغاء أقدم مهنة في التّاريخ، وأنّه لدى الأمم القديمة كان يدخل في مجال المقدّس، حيث كانت النّساء يمارسنه في

المعابد. والعديدون يرتكزون على هذا التّصوّر لتبرير وجوده واستمراره في كلّ المجتمعات حتّى يومنا، واستحالة القضاء عليه أو الحدّ منه.

قد نعترف بأنّ الانحراف وجد ويوجد في كل العصور، بما أنّ الإنسان معرّض له بحكم ضعفه أمام شتّى المغريات. ولكنّ ما لا يمكن أن نقبل به هو أن يغدو هذا الإنحراف ـــ ممثلا هنا في البغاء ـــ ظاهرة ذات أسباب متعدّدة وخاصّة منها السوسيو ـــ اقتصادية كما هو الشأن في المجتمع المغربي الرّاهن، وفي العديد من مجتمعات العالم الثالث، وخاصّة منها بعض البلدان الآسيوية والأمريكية اللاتينية، التي غدت قبلة كلْ من يرغب في إشباع غرائزه مقابل المال، إلى حدّ أنّ السّياحة أصبحت تنعت فيها بسياحة الجنس.

ليس البغاء قدرا أو اختيارا بالنّسبة للنّساء اللائي يمارسنه، كما أنّنا لا يجب أن نسقط في التّبسيطية المثالية التي تدعي بأن شيوعه من مترتّبات تأثر المجتمع المغربي، بإباحية الغرب التي تصلنا عبر قنوات كثيرة، منها وسائل الإعلام السّمعيّة البصريّة على سبيل المثال لا الحصر. ولكنه ـــ أي البغاء ـــ نابع من الواقع، بل إنّه يشكل ويجسّد بالملموس، أفظع مترتّبات الواقع المزري الذي تعيشه وتعاني منه فئات عديدة من النّساء في المغرب وخاصّة الشابّات منهنّ.

في المغرب الرّاهن وفي سنة 2000، تفيد الإحصائيات بأن من ضمن كل عشر (10) نساء دون سنّ الخامسة والعشرين، نجد حوالي سبع منهنّ (7) أمّيّات.

وإذا عاينّا أغلب النّساء اللاّءي يمارسن البغاء، نجد أنّهنّ ينتمين إلى هذه الفئة العمرية، وأن الفقر دفع ويدفع بهنّ إلى بيع أجسادهنّ

كطريق سهل للحصول على المال، وإعالة أنفسهنّ، وأحيانا تلبية حاجات أطفالهنّ وأسرهنّ، وتحقيق مستوى لائق من العيش يشدّهنّ إلى عالم البغاء، لأنهنّ لايملكن أيّة مؤهّلات للحصول على عمل يحفظ كرامتهنّ، ويوفّر لهنّ دخلا يوازي ذلك الذي تعوّدن عليه، إذْ أنّ أغلبهنّ أميّات أو ذوات مستوى تعليمي جدّ متدنّ.

خطورة الظاهرة ومترتّباتها على المجتمع راهنا ومستقبلا، تستلزم التفكير في الأساليب التي يجب اتباعها للحدّ منها.

من المؤكّد أن الزّجر القانوني وحده لن يحدّ من الظاهرة التي غدت تهدّد فتيات لم يكدن يغادرن عالم الطفولة، مستعدآت لبيع أجسادهنّ لمن يدفع مقابلا. كما أنّ الموعظة الأخلاقية لن تحدّ منها. ما يحدّ منها فعلا هو التفكير الجدّي الذي يعبّر عن نفسه في إجراءات عمليّة وملموسة، لتخليص الفئات الغالبة من النّساء من الأوضاع المزرية التي يعانين منها بفعل انتمائهنّ إلى الطبقات الفقيرة، وحرمانهنّ من كلّ المكتسبات التي تمكنهنّ من كسب الرّزق بالطرق المشروعة التي لا تحط من شأنهنّ.

لا نتوفّر في المغرب على مؤسّسة رسمية للبحوث الاجتماعية، ينبري الباحثون فيها لدراسة ظاهرة البغاء وغيرها من الظواهر السلبية، التي أفرختها عوامل عدّة نابعة أساسا من الإختيارات السياسية والإقتصادية المتلاحقة خلال العقود الأخيرة.والحصيلة هي غياب بحث شامل عن البغاء، يتناول الظاهرة ويحلّلها، ويقدّم إحصائيّات عنها وعن خصائص النّساء اللائي يتعاطينها والدّوافع التي دعتهنّ إلى ذلك، وينبّه في نفس الوقت إلى مخاطر شيوعها، وضرورة إيجاد حلول للحدّ من هذه المخاطر.

من ينتمون إلى جيل ما بعد الاستقلال، ومن عاشوا في مختلف المدن المغربية، سيلاحظون بدون شكّ العديد من التحوّلات التي عرفها المجتمع المغربي، وهي تحوّلات مسّت مترتّباتها كل فرد بنصيب، وكذلك الشأن بالنّسبة للأسرة وباقي المؤسسات خلال العقود الأخيرة. ولعلّ من أبرز ما سيلاحظونه اليوم قياسا إلى سنوات الطفولة والمراهقة، أنّ هناك خللا كبيرا حاصلا اليوم على مستوى القيم والمبادئ التي تحكم أنماطا من السلوك والعلاقات، والمواقف الفرديّة والجماعية من القضايا والظواهر.

هناك تساهل غدا شبه سائد تجاه كل من يحصل على المال، دون أن يولي النّاس اهتماما لمصدره، إن لم نقل بأنّ حصول الفرد على المال يثير الإعجاب بصرف النظر عن الطرق غير المشروعة التي يتمّ بها، سواء كانت احتيالا أم استغلالا للنفوذ أم رشوة أم بغاء أم متاجرة بالمخدرات... واللائحة لا تنتهي. ممّا يزيد في تفشي الظواهر التي تعكس انحرافا في السلوك، وانحلالا في القيم الأخلاقية التي تضبطه. طبعا ! قد نجد التّبرير في الواقع الإجتماعي والإقتصادي، وفي مجتمع الاستهلاك الذي ينخر الأفراد حتّى الأعماق، ويشحذ تطلعات المحرومين، ويزيد من لهفة المثرين، ولكن الدّوافع متعدّدة وأعمق من هذا المستوى التّبسيطي للتحليل، الذي يمكن أن نفسّر به شيوع ظاهرة البغاء راهنا.

عن طريق القراءات سواء تلك التي تنتمي إلى مجال الأدب، وخاصّة منها الرّواية التي اهتمّ بعض كتابها بشخصية المومس، ثمّ عن طريق الدراسات الاجتماعية الأجنبية التي صدرت عن البغاء، بدأ اهتمامي بالظاهرة من خلال ملاحظة هذا التحوّل الذي تحدّثت عنه أعلاه.

ولدت في مدينة صغيرة، كنّا نسكن أحد دروبها العتيقة. لم يكن التّفاوت الطبقي قد فرض على المدن المغربية تقسيمه المعماري بعد، ولذلك كانت تتواجد في دربنا كل الفئات الاجتماعية، حيث يكفل الغنيّ منها الفقير بشكل منتظم لا نتصوّره اليوم.

في نفس الدّرب كان يقيم الإقطاعي والفقيه والتّاجر إلى جانب حفنة من الأسر الفقيرة، ومن ضمنها أسر تكفلها نساء، بعضهنّ تشتغل نسّاجة مياومة في الدّور، أو مدلّكة في الحمّام، أو خادمة... وفي الدّرب أيضا كانت هناك امرأة تمارس البغاء، كان سكّان الدّرب يقاطعونها، وكان الآباء يحذّروننا من الإقتراب منها، وكان سلوكها نموذجا شاذا نشئنا على رفضه منذ الصّغر.

من الطبيعي أنّ موقف ذلك المحيط التّقليدي من المرأة التي تمارس البغاء كان قاسيا وذا مرجعية أخلاقية بالأساس، لا تعير اهتماما إلى الدوافع الواقعية والعميقة التي تدفع الفرد إلى ممارسة المحرّم، ولكنّ رفض هذه الممارسة كان إيجابيا في حدّ ذاته، كقيمة يدرج عليها الإنسان منذ طفولته.

مرّت سنون عديدة على علاقتي هذه بالدّرب والمدينة التي تحضنه، كبرت وعشت في مدينة الدار البيضاء، التي يكتسي فيها التّغيير بإيجابياته وسلبياته وتيرة أسرع من سائر المدن المغربية، ولاحظت كالكثيرين والكثيرات من أبناء جيلي، انهيار الكثير من القيم التي نشئنا عليها والمبادئ التي آمنا بها.

ذات يوم وأنا أستقل سيّارة أجرة صغيرة، أوقفت السّيارة امرأة في منتصف العمر، ركبت إلى جانبي وشرعت في البكاء، سألها السّائق عن سبب بكائها فأخبرته بصوت مخنوق بأنّ ابنها في "الكوميساريّة"،

وحكت له كيف أنّه فرض عليها أن تقتني له درّاجة نارية رغم ضيق ذات اليد، وعندما فعلت المستحيل واشترتها له ضبطته الشّرطة وهو يحمل الحشيش. صمتت المرأة المغبونة، وما كان من السائق إلاّ أن عقّب عليها بحدّة أثارت انتباهي، إذ نسي الطريق والسّياقة والتفت إليها ليصْرخ في وجهها : "إنّه ذنبكنّ أنتنّ الأمّهات، تدلّلن الأبناء الذكور بدون فائدة، لو كان بنتا لمارس البغاء وأتاك بالمال !!".

كان وقع كلماته عليّ كالصّفْعة المفاجئة، ذهلت وحدّقت فيه، كان الرّجل في سنّ والدي إن لم يكن أكبر منه... تساءلت حينها في داخلي : ماذا حصل لنا ؟ لا شكّ أن خللا ماقد وقع، وأن ما قاله ذلك الشخص مؤشر على ذلك الخلل، كيف يجوز لرجل ـ قد يكون أبا ـ أن يفكّر مثل هذا التفكير وأن يقبل بأن تعيله البنت المومس ؟ هل نصدّق ذلك ؟..

لم أنس قطّ قولة " لوسيان ڤولدمان" التي قرأتها ذات يوم بأنّ هناك علاقة بين الباحث وموضوعه حتّى ولو كانت علاقة كره. كان الذّهول ثمّ الإشمئزاز الذي استشعرته تجاه ذلك الموقف هو الذي حفزني على الإهتمام بموضوع البغاء منذ بداية الثمانينيات، وكان هذا الإهتمام ولا زال في جزء منه ينصبّ على موقف المجتمع من الظاهرة ورؤيته لها، وسبر نوعية فهمه لها ولدوافعها، ومقدار تقبّله أو رفضه لها، في إطار المواقف الاجتماعيّة السّائدة التي تعتبر مؤشرات دالّة على تأثير الاختيارات التي توجّه البلاد في تصوّرات الأفراد من جهة، وكذلك على مسار هذه البلاد المستقبلي من جهة أ خرى.

تحضرني الآن العديد من المواقف التي طبعت ذاكرتي إلى الأبد، تلك التّلميذة التي قالت لي ذات يوم كلمات تلخّص الدّوافع التي قد

تحذو بالمرأة إلى الإتجار بجسدها : «تصوّري ! حذاؤك الضّيق يوجعك وأنت أمام دار للسينما، تنظرين إلى ملصق فيلم تودّين مشاهدته ولكنّك لا تملكين المال لاقتناء تذكرة، يقترب منك أحدهم، يهمس لك : "هل تودّين رؤية الفلم ؟ تقبلين وتدخلين معه إلى السينما... تلك بداية البغاء !"

أتذكّر زميلة لها في نفس القسم، كانت تلفت الإنتباه بجمالها وقوامها الرّشيق، لا زالت صورتها مجسّدة أمامي وهي تقول لي بهدوء غريب، ينمّ عن اقتناع أثار انتباهي لصدوره عن فتاة لم تكن تتجاوز الثامنة عشرة "الفلوس هي كُلّشَي". مرّت سنوات على مغادرتها المؤسّسة، وغابت عن عيني إلى أن التقيتها ذات يوم في أحد فروع البنك الذي أتعامل معه، كنت أنتظر دوري لأصرف شيكي البسيط، وكانت هي تحمل حقيبة "سامسونيت"، تقدّمت إلى الموظف وفتحتها أمامه فصعق وهبّ واقفا وطلب منها أن تتبعه إلى الدّاخل. كانت "السامسونيت" مليئة حتّى آخرها بالأوراق النّقدية الأجنبية، من ذلك النّوع الذي لا نشاهده إلاّ في الأفلام، حين أنهت الفتاة مهمّتها تحدّثت إليّ وشرحت لي دون أن أسألها، بأنّها غدت تعمل سكرتيرة في إحدى البلدان العربية النّفطية، وافترقنا وأنا أستحضر هدوءها الغريب وهي تقول لي منذ سنوات خلت "الفلوس هي كلّشي".

من البديهي أنّ الباحث في شتّى العلوم ومنها العلوم الإجتماعية، لا يمكن أن يلغي ذاته أيّا كانت درجة الموضوعية التي يتحلّى بها، وحين أتناول موضوع البغاء من موقعي كامرأة مهتمّة بالقضيّة النّسائية، أصدر أساسا عن الموقف الطبيعي الذي يشجب امتهان المرأة لبيع جسدها والدّوس على الكرامة الإنسانيّة فيها. ولكنّ إدانة السّلوك في

حد ذاته لا تنفي البتة إمكانية الإنكباب عليه وفهم دوافعه ولمس المعاناة الكامنة داخل تلك التي ننعتها بالبغي أو المومس، والتي غالبا ما تغلّفها المساحيق والضحكة المفتعلة مع الزبون.

لعلّ من أبرز الصّعوبات التي تصادف الباحثة التي تودّ التّطرق إلى موضوع البغاء وإجراء أحاديث مع النّساء اللائي يمارسنه هو اكتساب ثقتهنّ، لأنّ الحذر وانعدام الثقة يشكلان أساس تعاملهنّ مع الآخرين. وحين تحلّ الثّقة محلّ الرّيبة والشّكّ، تقودنا المرأة إلى مكامن جروح الجسد المستباح، الذي تعاني من عبء حمله ومن الاحتقار الذي يسمه واللعنة التي تطارده.

فتيات من كلّ الأعمار، بعضهنّ قاصرات لا يمتلكن بطاقة وطنية، أوْ لايدلين بها عند الحاجة إلى رجال الأمن ومستخدمي الفنادق حتّى لا يكشفن عمرهنّ الحقيقي، منتشرات في كل الأماكن.. في المقاهي والملاهي والفنادق والشوارع. إنّهنّ صغيرات وجميلات، وبعضهنّ يخالفن التصوّرات السّائدة في المجتمع عن النّساء اللائي يمارسن البغاء، إذا أنّهنّ يرتدين لباسا لا يجلب الأنظار، ولا يكدن يتزيّن بالمساحيق. ترى الواحدة منهنّ فيخيّل إليك أنّها تلميذة أو طالبة بأحد المعاهد أو الكليات، وَتدرك بأنّها أخطأت الطريق، أو أنّ الظروف هي التي أرغمتها على ذلك الخطإ، لأنّ مكانها الحقيقي هو ذلك الذي تخيّلته، وأنّها في سنّ الدراسة والتحصيل عوض ارتياد عالم الليل المغري والمفزع في آن.

ليس عالم البغاء بالعالم المتجانس، بل تحكمه تراتيبه اجتماعية صارمة كما هو الشأن في سائر بلدان العالم. ضمن هذه التراتبية تحتلّ

المرأة السلعة موقعها حسب مقاييس معيّنة، من أهمّها صغر السّنّ والجمال والقدرة على مسايرة مستويات الزبائن التي تختلف هي الأخرى.

وهذه التراتبية تجعل من البغاء مصدر ربح وافر لبعض البغايا، ومصدر عيش لا يكاد يسدّ الرّمق للبعض الآخر.

حين نستمع إلى مختلف النّساء البغايا ضمن هذه التّراتبية، وحين نعاين المتدنّيات منهنّ فيها، نسترجع مشاهد غلّفها النّسيان فينا، أطلعتنا عليها بعض القراءات التي مرّت عليها عدّة سنين. قد تعود بنا الذاكرة مثلا إلى بعض أعمال الرّوائي الفرنسي إميل زولا وخاصّة منها "جيرمنال"، نستحضر عبر الذاكرة المنسية هذه الكتابات، التي تصف عالم بدايات نشوء الطبقة العاملة في إطار المرحلة الرّأسمالية المتوحّشة، ومعاناة نساء الطبقة الفقيرة من شتّى أشكال العنف والقهر، ولجوأهنّ القسري إلى المتاجرة بأجسادهنّ. نعاين أيضا تلك الحالة من اللامبالاة والتّبلّد الذي يصيب المرأة، فتعيش انفصاما تامّا بينها وبين جسدها، وكأنه وعاء منفصل عنها ولا علاقة لها به.

علاقة المرأة البغي بجسدها بالغة التّعقيد، تحكمها التصوّرات التطهرية التي نشأت عليها بشكل أو بآخر. وإذا كان من عامل مشترك بين البغايا ضمن هذه التراتبية التي تطرّقنا إليها أعلاه، فهو استشعارهنّ للاحتقار تجاه الجسد الذي يشكل مصدر عيشهنّ. تلجأ البعض منهنّ إلى الاغتسال عدّة مرّات في اليوم، وتستعمل الكثيرات منهنّ لفظة "الجنابة" ذات الحمولة الأخلاقيّة الدّينية وضرورة التّطهّر منها. واللائي يتوفرن على مقدار من الوعي بالمخاطر الصّحّية التي تهدّدهنّ، يستعملن العازل الطبي ويحملنه في حقائبهنّ اليدوية، ويرفضن كل زبون لا

يقبل به، وقد يتعرّضن للإهانة من طرفه مقابل هذا الإصرار، لأنهنّ مجرّد بغايا في نظره، ولأنّه هو الذي يجب أن يحتاط منهنّ ومن إمكانية نقلهنّ العدوى إليه، بما أنهنّ يمارسن الجنس مع أي كان.

إضافة إلى الاحتقار، تحقّق البغي انفصالا تامّا عن جسدها، إنّه الجسد / السّلعة الذي يقدّم إلى الآخر في إطار من اللامبالاة تخفي معاناة بالغة القساوة، إن لم نقل بأنّها تكتسي صبغة اللا إنسانية.

تؤكد النّساء البغايا بأن استشعار اللذة مع الزّبون أمر يلغينه من حسابهنّ، وتدرك اللائي يتوفّرن منهنّ على قدر من الوعي بأن ارتباط العلاقة الجنسية بمقابل مادّي، من شأنه أن يلغي عامل المتعة المرجوّة من هذه العلاقة، إذا ما تمّت في ظروفها الطبيعية، أي في إطار لقاء حميمي بين رجل وامرأة، يحقّقان معا تواصلا إنسانيا يشمل الجسد والرّوح.

عالم البغاء هو أيضا عالم يوحي بالسّعادة الوهميّة التي تغري النّساء غير المؤهلات لخوض الحياة العملية وما تفرضه من منافسة وكدّ، بحيث لا يدركن مخاطره ويجلبهنّ بريقه وسهولة الحصول على المال فيه، وحين يرتدنه ومع تقدّم السّنّ وشراسة المنافسة، يدركن بعد فوات الأوان أنّهن يسرن في طريق مسدود، وأن التدمير النّفسي بلغ أقصاه بهنّ، وأنهنّ دخلن في دائرة مغلقة لا سبيل للتخلّص منها.

عوامل خوض المرأة لهذا العالم القاسي شتّى، منها الإجتماعي في مستويات عدّة، ومنها التّربوي ومنها السوسيو ـــ اقتصادي كما سنتعرّض لذلك، وهي عوامل ستبرز واضحة من خلال عيّنات من البغايا متفاوتة المستويات، في إطار التّراتبية التي تحكم عالم البغاء، وتجعل من اللائي يتعاطينه فئات متنوعة المؤهّلات والمداخيل، وكذلك الشأن بالنّسبة للأطراف المساهمة، وذلك ما سنقاربه في هذا البحث.

القسم الأول

عوامل البغاء

ـــ التفكّك العائلي
ـــ العنف ضد النّساء
ـــ الزواج المبكّر
ـــ التحرش الجنسي والاغتصاب
ـــ عوامل أخرى



الفصل الأول

التفكك العائلي

تقديم : متغيّرات وتفكّك.

عرفت المؤسسة العائلية في المغرب تحوّلات خلال القرن الماضي بفعل عوامل متعدّدة المستويات إثر الحماية الفرنسية (1912) وما بعدها. وكباقي المجتمعات التي مسّ التحديث هياكلها ولو بمقدار، غدت الأسرة النّوويَة المكوّنة من الزّوجين ثمّ الأطفال أساس التّشكيلة الإجتماعية.

لم يكن انتقال الزّوجين من العيش في كنف العائلة الممتدّة إلى مواجهة مصيرهما في استقلال عنها بالسّهل، ولم يحدث دون صدام بين الأجيال، أو دون أشكال من المقاومة أبداها الآباء والأمهات في الأوساط التّقليدية، ضدّ رغبة الأبناء في الانفصال عنهم، والإقامة في بيت مستقلّ.

تعرّضت العديد من الدّراسات[1] التي تناولت مؤسسة العائلة في المجتمعات العربية الحديثة إلى خصائصها، ومن أهمّها أنّ هذا التّحوّل الذي عرفته جعلها تعيش مرحلة انتقالية، افتُقدت فيها الأنماط التقليدية

1) أنظر على سبيل المثال :

ـــ التحليل النفسي للذات العربية .على زيعور. دار الطليعة .1977.

ـــ السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي. فاطمة المرنيسي. ترجمة : فاطمة الزهراء ازرويل. دار الحداثة. 1983.

ـــ البنية البطريركية. بحث في المجتمع العربي المعاصر. هشام شرّابي. دار الطليعة. 1987.

في السلوك والعلاقات، التي لم تعوّضها أنماط جديدة لأنّ إمكانية فرزها غير متوفّرة في الواقع.

النتيجة تمثلت فيما نعته بعض الباحثين بالعائلة المهجّنة، التي تعاني من التمزّق بين قيم تقليدية غدت متغيّرات الواقع تتجاوزها، وبين حداثة غير مكتملة، لأنّها لم تطل الذهنيات والسلوك، ولم تخلص الأفراد من القيم التي ترسّخها العقلية الأبويّة، بشأن العلاقة بين الجنسين وارتكازها على تسلط الرّجل وقهر المرأة.

والنتيجة أن خوض الأفراد لمغامرة الحياة الزّوجية، لا تخلو من معاناة وتوتّر بفعل هذا الواقع.

يقارب هذا التحليل واقع العائلة في المجتمعات العربية التي عرفت تحولا قد يختلف في الزمان والمكان، ولكنّ خطوطه العريضة تظل مشتركة.

قد نضيف بشأن الأسرة راهنا في المغرب أن الأوضاع السوسيو ـــ اقتصادية والثقافية تطبعها بعمق، خاصّة وأنّ أغلبية الأسر تنتمي إلى الأوساط المحدودة الدّخل، وتعاني من غلاء السكن والمعيشة وكل مستلزمات الحياة، إضافة إلى شيوع الأميّة بين أفرادها، من شأن هذه العوامل المذكورة أن تؤثر بدون شكّ في نمط عيش هذه الأسر، ومقدار استقرار الأفراد فيها ماديّا ومعنويّا.

لعلّ من أبرز مترتبات الانتقال من العائلة الممتدة إلى الأسرة التي تنعت بالنوويّة على المرأة بالأخص، فقدانها للحماية التي كان يوفرها لها الأهل في إطار العائلة الممتدّة، إضافة إلى أنّ الحياة الزّوجية في استقلال عن العائلة، جرّدت الزّوجين من الدّور الذي كانت تلعبه هذه

الأخيرة في استقرارهما، وإمكانية التدخّل لإصلاح ذات البين في حالة توتّر العلاقة بينهما.

رغم تقلص نمط العائلة الممتدة، نجد بأن استمرار عيش الأبناء مع آبائهم بعد الزّواج موجود حسب إحدى الدّراسات الإحصائية بشأن الحالة الزّوجية في المغرب[1]. إنه تساكن يرتبط بالوسط الاجتماعي، وغياب إمكانيات الاستقلال المادّي لدى الأبناء ، ولذلك يوجد أساسا في الوسط القروي، وكذا لدى الفئات التي لا تتوفّر على التّعليم.

بفعل ظروف شتّى ذاتية وموضوعية، ثقافية وسوسيو ـــ اقتصادية، تعاني الأسرة المغربية من التفكك، وترتفع فيها نسب الطلاق، ولذلك نلحظ تزايد عدد الأسر التي تكفلها النّساء في المدن والقرى على السّواء، حيث تصل نسبتها في المغرب راهنا إلى ٪16.4 (٪19.3 في المدن ـــ و ٪12.3 بالعالم القروي).

تشكل ظاهرة الأسر التي تكفلها النّساء أحد مترتبات التّفكّك الأسرى، إذ أنّ نسبة هامّة من النّساء اللائى يتحمّلن مسؤوليتها مطلّقات، وهي وضعية تنعكس مترتباتها السلبية عليهنّ وعلى أطفالهنّ أكثر من الزّوج.

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار نسبة الأمّيّة المرتفعة بين النّساء عموما، وغياب التّأهيل لديهنّ لخوض الحياة العمليّة، نلمس تأثير هذه المترتّبات عليهنّ وعلى أطفالهنّ.

تصل نسبة الأمّيّة بين النّساء المطلّقات راهنا في المغرب إلى ٪75، كما أنّ نسبة النشيطات منهنّ لا تتعدّى ٪28.4[2]. هذا إضافة إلى أن

---

1 - Etat Matrimonial et stratègies familiales. CERED. 1997. P. 72 et 73

2 ـــ المرجع المذكور. ص 106 و 125

المستوى التّعليمي متدنّ لدى أغلبهنّ، إذ نجد من ضمن كل عشرة منهنّ حصلن على قدر من التّعليم، ثمانية لم يتجاوزن التّعليم الأساسي[3].

قد يسود التفكك في بعض الأسر، فتكتوي البنت بناره منذ الطفولة المبكّرة، وقد يشكل سمة من السمات السلبية التي تطبع الأسرة في ظلّ الحياة الزّوجية، فتجد المرأة نفسها مطلّقة ذات يوم وحيدة أو مع أطفال، لا تمتلك مؤهلات ولا تحميها قوانين تضمن حقوقها، ولا تتوفّر على إمكانيات للعيش بكرامة، أو لتلبية حاجات أطفالها فتمتهن البغاء.

1 ــ تفكك الأسرة الأبويّة :

قد تعاني الأسرة الأبوية من التفكك على مستويين، يفرزان شكلين من أشكال المعاناة التي تنال من توازن الأطفال واستقرارهم، وتؤدّي بهم ذكورا وإناثا إلى الانحراف بطريقة أو بأخرى.

يتمثل المستوى الأوّل في عدم الاستقرار الذي يطبع الحياة الزوجية لأسباب متعدّدة، يعود بعضها إلى وطأة الأوضاع السوسيو ــ اقتصادية على الأوساط الفقيرة، التي ترتفع فيها نسبة الأميّة بين الرّجال والنّساء بشكل مهول، وقد تعرف بعض الأسر رغد العيش، ولكنّ التّفاهم بين الزّوجة والزّوج يظل مفتقدا.

في كل هذه الحالات، يسود التوتّر في البيت بشكل دائم، قد يعبّر عن نفسه بواسطة الشجار الذي يكتسي أحيانا طابع العنف، أو بواسطة الجوّ الصّامت المشحون والبارد الذي يسود علاقة الزّوجين.

---

3 ــ نفسه. ص 103

يستشعر الأطفال منذ سنّ باكر هذا الوضع المتفكّك، الذي يعبّر عن نفسه بصيغ مختلفة حسب مستوى الأسرة في التّراتبية الإجتماعية، والإمكانية التي تخوّلها لأفرادها، وكذلك حسب مستوى الأبوين التّعليمي، وانعكاسه على سلوكهما، وطبيعة معالجتهما للمشاكل في كنف بيت أسروي لا يضمّهما معا فحسب، ولكنّه يمتدّ ليشمل أطفالا من صلبهما، قد يكون للسلوك الذي ينتهجانه أمامهما دور بالغ في تحديد مسارهم المستقبلي.

في خضمّ المشاكل والتّوتّر، وفي غياب النضج اللازم لمواجهتها، قد يؤدي انعدام التّفاهم بين الزّوجين إلى شجار دائم تحمل البنت تبعاته المؤلمة طيلة حياتها. وإذا ما تمّت معاينة وضع النّساء اللاّئي يتعاطين للبغاء، نجد أن فئة لا يستهان بها منهنّ عاشت هذا التّفكك منذ طفولتها، وعانت منه وظلت بعده تحتفظ بجراح عميقة واعية أو لاواعية، قد تكون أحد الأسباب الدّاعية لها إلى الإنحراف.

تحكي "س" (25 سنة) :

"صدّقيني ! ما كنت أفكّر يوما بأنّني سأسير في هذا الطريق... منذ أن فتحت عيني وأنا أرى أبي وأمّي يتخاصمان. لا أذكر يوما مرّ علينا دون صراخ.

والدي موظف بإحدى الإدارات، كان الأجر الذي يتقاضاه قليلا، أمّي خيّاطة، كانت تخيط للجيران ثيابهم أحيانا، ولكنّها في أغلب الأحيان لم تكن تجد ما تخيطه، نصحتها إحدى صديقاتها بأن تخيط أكياس الحمّام وتبيعها، ولكنّ ذلك لم يدرّ عليها مدخولا.

الطامّة الكبرى هي أنّ أبي كان يشرب الخمرة ويغْدو عصبيا وعنيفا، أمّي هي الأخرى شرسة الطباع "عيبها على طرف لسانها"، كانت تعيّره بضعفه وعجزه عن توفير ما يلزم للبيت "بحال سياده".

نشأت في هذا الجوّ، كان الرّعب يلازمني دائما، وكنت أخاف حين يتخاصمان من أن يقتل أحدهما الآخر.. دخلت المدرسة، ولكنّني سقطت مرّتين في الشهادة الإبتدائية، تحمّلت الكثير من أعباء البيت، أصبّن وأغسل الأواني وأنظف البيت. تدهورت وضعيتنا المادّية كثيرا وأقام علينا ربّ البيت دعوى للإفراغ، لأن البيت في المدينة القديمة وقد يسقط على رؤوسنا.

لو كان أبي وأمّي متعقّلين لواجها الوضعية وتفاهما، ولكنّهما أصبحا أكثر عنفا وشراسة، وغدت الحياة معهما لا تطاق، لم أعد أخاف عليهما، ولكنّني أصبحت أكرههما وأكره العيش في ذلك البيت.

ذات يوم قرّرت أن أبحث لنفسي عن عمل لكي أهرب من ذلك الجحيم.. بحثت كثيرا فلم أجد شيئا، حاولت أن أشتغل خادمة في المنازل لأنّني أتقن العمل المنزلي، لجأت إلى جارة لنا تشتغل بإحدى الڤيلات الكبرى منذ سنوات، وطلبت منها أن تساعدني على إيجاد شغل، رافقتها إلى عدّة بيوت، كانت ربّة البيت تنظر إليّ من رأسي إلى قدمي ثمّ تعتذر بطريقة أو بأخرى. إنّني جميلة ! وليس هذا ذنبي...

حاولت فعلا أن لا ألجأ إلى هذا الطريق، ولكنّني كنت مجبرة.. المهمّ هو أنّني غادرت جحيم البيت، حيث أقيم وحدي في شقة دون أن يزعجني أحد.. نادرا ما أزور بيتنا، وما إن أدخل حتّى تغرقني أمّي

بالشكوى من سلوك أبي.. لا أتكلّم ولكنّني أقول في خاطري لن تتبدّلي قط ولن تفكّري إلا في نفسك... لو عرفتما كيف تحافظان علي أنت وأبي لما "زلَغْت" وصرت "إلى ما أنا عليه".

سوء التفاهم بين الأبوين وشجارهما الدّائم قد يطبع طفولة البنت ويحدّد سلوكها في الحياة المستقبلية، وهناك نساء يمارسن البغاء يعانين من شروخ دفينة طبعتهنّ إلى الأبد من جرّاء هذا الوضع، تقول "ل" :

"عانيت كثيرا في طفولتي، كنا نستيقظ أنا وأخي مذعورين بفعل شجار أبي وأمّي.. كان أبي يصرخ ويقذف أمّي بأبشع النّعوت، وكانت أمّي تبكي والجيران يسمعون ما يحدث. كنت أخجل عندما أخرج من البيت لأنّ الكلّ يعرف حكاياتنا وأسرارنا ويشفق علينا. كان هذا الوضع دائما لا فرق فيه بين يوم عادي أو يوم عيد.

كنت أكره والدي لأنه كان ظالما وقاسيا بشكل لا يتصوّر. طيلة حياتي مارأيت رجلا على ذلك القدر من القسوة، أمّا أمّي فكانت امرأة طيبة وعطوفة، والدّليل على ذلك أنّها رعت والدي طيلة سنوات مرضه، وباعت كل ما تملك في سبيل علاجه...

إنّني أستغرب لكونه لم يطلب منها السّماح أبدا، على العكس من ذلك ظلّ لسانه قاطعا حتّى عندما كان طريح الفراش. كنّا نسكن الجبل، وحين يحلّ موعد زيارة أبي للطبيب، كانت تستيقظ باكرا فتصلّي الفجر وتوقظني وتوصيني بأن ألازم أبي كي ألبي حاجياته، وتنطلق لتأتي بسيّارة الأجرة التي تحمله إلى المدينة، تمشي الساعات ولا تعود إلا في الظهر.. وما إن تدخل حتّى يصرخ في وجهها متّهما إيّاها بأنّها تستغل الفرصة للاتّصال بالرّجال... وغالبا ما كان السّائق يسمع كلّ شيء، كلّ شيء، هل تتصوّرين هذا ؟ عبثا أحاول أن أنسى هذه الأمور ولكنّني لا أستطيع (بكاء).

كنت أسيقظ مرعوبة لدى استشعار أية حركة في البيت، أحيانا كنت لا أنام خوفا ممّا قد يحدث.. ذات يوم، كان أبي يصيح وأمّي تبكي، فقدت وعيي ولم أعد أحسّ بشيء، فتحت عيني لأجدني في السّرير ممدّدة بين أمّي وزوجة عمّي والكلّ حولي، منهم من يمرّر المفاتيح على جسمي، ومنهم من يحمل المجمر والبخور، واختنقت ولم أعد أستطيع التّنفّس، كدت أموت يومها..

كان أبي رجلا بالغ الجمال في وجهه وبالغ القساوة في قلبه، لم يفكّر فينا أنا وأخي لحظة، كان أخي يبكي دائما وكان شابّا يكبرني بسنوات، تصوّري رجلا يبكي ! أصبح يتعاطى الحشيش ولا يكاد يقيم في البيت، أمّا أنا فكنت أكتوي بالنّار حيث لا أفارق أمّي لحظة واحدة. يالها من قسوة ! كيف يمكن للإنسان أن يتسبّب في تعذيب أبنائه إلى هذا الحدّ ؟ من المؤكد أنّني لوتزوّجت ورزقت بأطفال لجنّبتهم مثل هذا الوضع لأنّني لا أستطيع نسيانه أبدا... أحيانا أقول بأنّني نسيت ولكنّني غير قادرة على التخلّص من ذلك... تصوّري ! كنت أستيقظ مفزوعة والعرق يتصبّب منّي، كنت أحلم بأنّ ثعبانا يطاردني أو أنّني أتدحرج من الجبل فأصْرخ.

حين توفي أبي حلمت مرّتين بأشياء حكيتها لعمّي فطلب منّي أن لا أكرّرها على مسامع أحد. حلمت مرّة بأنّ أبي يجري عاريا مجرّدا من كلّ ثيابه، ومرّة أخرى حلمت به وأطراف لحمه تسقط منه... أخي هو الاخر إنسان معقّد، لقد تزوّج ولكنّه قاس ولا يتفاهم مع زوجته أو معي عندما كنت في البيت".

قد يؤدي انعدام التفاهم بين الأبوين إلى الطلاق الذي غالبا ما تكون عواقبه وخيمة على الأطفال ومسارهم المستقبلي. انفصال

الأبوين في حدّ ذاته يخلق وضعية غير متوازنة وغير طبيعية لدى الطفل، إذ أنّه يفقد الإستقرار الأسري المفروض توفّره لتحقيق توازنه على المستويين المادّي والنّفسي.

عديد من النّساء اللائى يمارسن البغاء يصرّحن بمعاناتهنّ إثر طلاق الأبوين، وتحيل أحاديثهنّ حتما على الوضعية القانونية المجحفة في حقّ النّساء بعد الطلاق، إذ أنّ أغلبية المطلّقات يجدن أنفسهنّ مجرّدات من كلّ حماية، ومجبرات على مغادرة بيت الزّوجية.

تؤثر هذه الوضعية بطريقة مباشرة على الأطفال ومصيرهم بعد الطّلاق، حيث تعجز الأمّ عن مواجهة الحياة وحدها، ولا تقدر في الكثير من الحالات على توفيرمستوى العيش الذي تعوّد عليه الأطفال في كنف الوالدين قبل الانفصال.

إضافة إلى هذه المترتبات، تظلّ الآثار النّفسية التي يخلّفها الطلاق في الولد أو البنت عميقة، خاصّة في الفئات التي يكتسي فيها هذا الطلاق طابعا عنيفا، ويؤدّي إلى توتّر دائم بين الأبوين بعد انفصالهما، يجعل الأطفال يعانون من تمزّق، لا يتوفّر كلّ من الأب والأمّ على الوعي اللازم، لإدراك خطورته على استقرارهم النّفسي وكذا على مستقبلهم.

تبرز الأحاديث مع النّساء اللائى يمارسن البغاء، أنّ فئة منهنّ عانت وتعاني من هذا الوضع، واكتوت بناره وطبعها في العمق.

تقول "ز" (27 سنة) :

"انفصلت أمّي عن أبي عندما كنت في الثامنة من عمري، غادرنا الشقّة حيث كنّا نسكن أنا وأمّي وأخي الذي كان عمره خمس سنوات.. لم تأخذ أمّي شيئا من البيت ولم نحمل إلاّ ثيابنا... ذهبنا عند جدّي في مدينة أخرى، أعطانا غرفة مكثنا فيها عدّة شهور.

كنت أدرس بالابتدائيّ الأول، وانقطعت عن الدّراسة، ولكنّ أمّي أصرّت على أن نعود إلى الدّار البيضاء، وأعلنت بأنّها ستشمرّ عن ساعديها وستعمل لكي تطعمنا، وفعلا عدنا وسكنّا غرفة مع الجيران، وبدأت أمّي تشتغل صبّانة في البيوت، وأصرّت على أن أعود إلى المدرسة واستعطفت المديرة حتّى أعادتني إلى القسم.. المشكل هو أنّ الخصام بين أبي وأمّي لم ينته بعد الطلاق، كان يصرّ على أن يأخذنا منها متى شاء، وكانت هي ترفض وتهدّدنا بأنّها ستهرب وتتركنا إذا ما قبلنا بالذّهاب معه إلى بيته.

ذات يوم جاء ليأخذنا فرفضت، وتشاجرا أمام البيت، وكان كلّ من في الدّرب يتفرّج علينا وأنا وأخي نبكي من الخوف.. سقطت في تلك السّنة والسّنة التي بعدها فطردت من المدرسة، كانت أمّي تذهب للتصبين أو مساعدة الأسر في بعض المناسبات، وكنّا نظلّ أنا وأخي وحدنا، وأغلب الوقت كنّا نقضيه في الشارع حتى تعود أمّي...

أبي ؟ بعد أن تزوّج لم يعد يفكّر فينا البتّة، لم نعد نراه إلاّ نادرا لأنّ زوجته الجديدة اشترطت عليه أن لا ترانا... بل إنّنا لم نعد نتحدّث عنه وكأنه مات بالنّسبة إلينا".

قد تكفل المرأة المطلقة الأبناء، وتتحمّل مسؤوليتها تجاههم ولا تفكّر في الزّواج مرّة أخرى مضحية بحياتها في سبيلهم، باذلة كل ما في وسعها وحسب إمكانياتها ومؤهلاتها، لتوفّر لهم أدني شروط الاستقرار وتعوّضهم عن غياب الأب. ولكنّ المأساة كثيرا ما تحصل عندما يتزوّج الأب ثانيا وكذلك الأمّ، حيث يبنيان استقرارهما الجديد أحيانا كثيرة على حساب أطفالهم من الزّواج السّابق.

عَانت "ن " (30 سنة) من هذه الوضعيّة بشكل قد لا تستطيع الكتابة التّعبير عنه، إذ أنّ حديثها عن هذه الفترة من حياتها أيقظ المواجع في كيانها، حيث أنّها لم تنقطع عن البكاء بحرقة وهي تحكي :

"انفصلت أمّي عن أبي ونحن صغار، وكنت أنا الكبرى، وكان عمري عشر سنوات، ليت الأمر بقي عند هذا الحدّ ولكنّ ما حدث أفظع، إذ أنّ أبي تزوّج بامرأة أخرى، كان يأتي لرؤيتنا أحيانا ولم يكن ينسانا في الأعياد.

ذات يوم جاء عند جيراننا أحد أعمامهم، رأى أمي فأعجبته وطلب من زوجة أخيه أن تكلّمها في الزّواج... في المساء وبعد أن شربنا الشاي وكدنا نام، أخبرتنا أمّي بأنّها ستتزوّج منه، وأن ذلك سيكون في مصلحتنا لأنه إنسان ميسور وقد قبل أن نعيش معها.. قالت لنا بأنّه "غادي يتْهلاّ فيكم وغادي يديركم بحال أولاده".

... ماذا قلنا ؟ لا شيء ... ماذا بوسعنا أن نقول ؟ ومن نحن لكي نقول ؟ كنا أربعة أطفال يتامى، بل إنّ اليتامى كانوا أفضل منّا... انتقلنا إلى بيت ذلك الرّجل، لم يكن ميسورا بل مجرّد جزّار بسيط. غدا يحاسب أمّي على كل شيء، ويتّهمنا دائما بتبذيره وبأننا نستهلك كل ما يأتي به مثل الخنازير. غدت أمي عصبية المزاج وكانت كلّما احتدّت معي تقذف في وجهي بكلمات لن أنساها قطّ (بكاء!) :

"إلى ما عاجبك حال سيرى عند بّاك...راه گدامك.. سيري عَندو وهنّيني "... ذات يوم وبعقلية الطفلة التي كنتها، ذهبت إلى بيت أبي، طرقت الباب ففتحت لي زوجته وأخبرتني بأنّه غير موجود، وأنّ عليّ أن أنتظره إذا ما شئت رؤيته وأغلقت الباب في وجهي. ظللت واقفة أنتظره، ما إن رآني حتّى صاح بي : "أنت ! ماذا تفعلين هنا؟" لم يكلّف نفسه مشقّة السّلام عليّ (بكاء)، وحين ارتميت على يده لأقبّلها انتزعها منّي بعنف، طالبا أن أجيبه أوّلا. بكيت وحكيت له عن المعاملة التي نلقاها من زوج أمّي أنا وإخوتي، وطلبت منه أن أعيش معه ولا أعود إلى أمّي.. أتدرين ماذا فعل ؟ دفعني حتّى كدت أسقط وصرخ بي أن أعود إلى أمّي، فهبطت الدّرج وأنا أسمع لعناته، وعدت إلى أمّي والعذاب... خرجت من البيت في سنّ الثامنة عشرة ذات يوم بعد أن تخاصمت مع زوج أمّي وكدنا نتشاجر بالأيدي، لعنته ولعنت أجداده وأفرغت كلّ ما كان في قلبي وخرجت بدون رجعة".

2 ـــ الطلاق :

إذا كان المجتمع المغربي الرّاهن يفرز نماذج نسائية إيجابية تتحدّى وضعية الطلاق وتسهر على تربية الأطفال ـــ إذا ما وجدوا ـــ في غياب الأب، فلأنّها تمتلك المؤهلات اللازمة لذلك، ومن أهمّها التعليم والتوفّر على عمل قارّ يدرّ مدخولا منتظما. وإذا ما ذكّرنا بأن نسبة 75٪ من المطلقات أميّات كما أشرنا إلى ذلك سابقا، أمكن بأن ندرك استحالة استفادة الأغلبية من هذه المؤهلات المذكورة.

في العينة المدروسة في هذا البحث، تصل نسبة المطلّقات إلى 60٪، ثلثهن (1/3) يتوفّرن على طفلين أو ثلاثة، وثلثهنّ الثاني يتوفّر على

طفل واحد. وبالتّالي فإنّ الطلاق والأميّة أو المستوى التّعليمي المتدني قد أوقعهنّ في شرك البغاء.

لا ندرك مقدار الإجحاف القانوني الذي تذهب النّساء ضحية له مثلما ندركه في مثل هذه الحالات. وفي غياب الضّمانات القانونية، يطلّق الزوج الزّوجة بدون تبعات تقريبا، وتضطرّ إلى إخلاء سكن الزّوجية هي وأطفالها بعد انقضاء مدّة العدّة، لتجد نفسها عزلاء وحيدة دون حماية.

يغدو الوضع أكثر مأساوية بالنّسبة للمرأة المطلّقة الفقيرة في غياب الحماية العائلية، التي كانت حتّى وقت قريب عامل حصانة تحمي المرأة المطلقة، وتجنّبها السّقوط في البغاء إذا ما انسدّت دونها الآفاق. لقد غدا التكافل العائلي شبه مستحيل، نظرا لطغيان نمط الحياة الفرديّة من جهة، ولعدم قدرة الفئات الفقيرة على توفير الحماية لقريباتها المطلّقات من جهة أخرى.

تقول "م" (31 سنة) :

"أخرج منذ خمس سنوات، طلقت من زوجي ووجدت نفسي في الشارع، قصدت بيت أخي، كان يسكن شقة صغيرة في حيّ شعبي، مكوّنة من غرفتين، وله ثلاثة أطفال أصغرهم لازال رضيعا..

كنت أتقن الأشغال المنزلية، ولذلك حملت كلّ الأعباء عن زوجة أخي التي كانت لا تعمل وتقضي نهارها أمام التلفزيون.. كنت أقضي النهار واقفة وما إن أضع رأسي على الوسادة حتّى أغيب في النّوم. بقيت معهم ستّة شهور على هذه الحال، ثم بدأت زوجة أخي تضيق بي وتلاحقني بملاحظاتها.

كنت أحتاج إلى دريهمات للحمام فلا أجدها، وأظل متّسخة طيلة شهر بكامله، وحين أسخّن مقراجا لكي أغتسل في المرحاض تتّهمني زوجة أخي بتضييع الغاز... تمزّقت ثيابي ولم أجسر على طلب شيء من أخي لأنني أعرف بأنه محتاج.

ذات يوم ارتديت جلبابي وقلت لزوجة أخي إنني سأبحث عن عمل، وبعد أيّام وجدت عملا بأحد معامل الخياطة، كنت أنقّي السّراويل من الخيوط وأقبض 350 درهما كلّ أسبوعين، أعطي نصفها لأخي، وأعطي 50 درهما لزوجته، وأحتفظ بالباقي للنقل والحمّام. وعندما أعود في المساء أجد الأشغال تنتظرني في البيت، فأغسل الأواني وأصبّن الثياب وأنظّف الأرض.

تعبت كثيرا وأصبحت كالهيكل العظمي. ذات يوم اقترحت عليّ صديقة بأن أقيم معها في غرفتها بأحد السطوح، ونتعاون على العيش معا. لم نكن نستطيع توفير مصاريف الكراء والكهرباء والماء، ولا يبقى لنا ما نقتات به. ظللت معها عدّة شهور ثمّ تعرّفت على فتاة في المعمل، وهي التي قادتني إلى ما أفعله الآن، رفضت في البداية، ولكنّني كنت مجبرة لأنّ ما كنت أحصل عليه من المعمل لا يطعمني... أخي؟ لا يعرف ما أفعل، وحتّى إن عرف هل يقدر على إعالتي؟ ألم أقل لك بأنني لم أكن أحصل منه على فلوس الحمّام؟..».

تلخص هذه الشهادة واقع فئة من النّساء اللائي يرمي بهنّ الطلاق بطرق شتّى إلى البغاء، إذ أن تجرّدهنّ من الحماية القانونية، وكذا من الحماية العائلية، وعجزهنّ عن توفير شروط العيش لهنّ وأحيانا لأطفالهنّ، قد يدفع بهنّ إلى البغاء.

عـديدات هنّ النّسـاء المـطلقـات اللائي يعلن أطفـالـهنّ عن طريق البـغاء، والبـعض منهنّ صـغيـرات جـدًا لا يتصـوّر الإنسـان أنّهنّ فعـلا أمّهات، ويتحمّلن مسؤوليـة طفل أو طفلين أو أكثر. أغلبهنّ يخفين هذا الواقع ولا يصرّحـن به، ونـــادرات هنّ اللائي يصرّحـن بأمومـتهـنّ إلاّ إذا اضـطرّتهـنّ الظروف إلى ذلك، كـمـا هو الشّأن بـالنّسـبـة لـ "س" (24 سنة)، وهي أمّ لطفلة صغيرة.

".. ذات يوم قبضوا عليّ وأركبوني سيّارة الأمن، كنت أبكي وأنا أطلب من الشـرطـي أن يطلق سـراحي لأنّ طفلتـي مـريضـة، وعليّ أن أشتري لها الدّواء في الصّباح.."

تقـدّم إحدى صـديقات "س" صـورة بالغـة الدّلالة عن واقع هذه المرأة التي تشكل مثالا لعشرات من النّساء الأمّهات، ومعاناتهنّ في هذا المجال : ".. إنّني أعرفها حق المعرفة.. إنّها تؤدّي ثمن الكراء وأجرة المرأة التي تدع عندها الطفلة، وفي كلّ يوم تقريبا تمرّ على الصـيّدلية لشراء ما يلزم لابنتها، وحين تمرض الطفلة تصاب بالجنون، ومع ذلك تضطرّ إلى الخروج كل ليلة لتحصل على كل هذه المصاريف...

لو رأيتهـا حين تكون ابنتها مـريضة وتضطرّ إلى الخروج لأشـفقت عليهـا حقّا.. إنّها تبكي ثـمّ تمسح عينيـها وتتزيّن ثمّ تلبس ونخـرج معا. أحيـانا يأتيني البكاء وأنا أراها تتـصنّع الضّحك مع زبون، وما أن يسـهو هذا الأخيـر لحظة حتّى تلتـفت إليّ قلقة وتهمـس لي : "ناري ماعْرفت كدايرة بنتي، عَنْداك غيرْ تْموتْ وما نْكُونش مْعاها !".

الفصل الثاني

العنف ضدّ النّساء

للعنف ضدّ النّساء تاريخ في كلّ المجتمعات، رسّخته ثقافاتها بمرجعيّاتها المختلفة، وقد ترسّخه حتّى الوقت الرّاهن إذا لم تدخل هذه المجتمعات مرحلة الحداثة الحقيقية التي لا تتجلّى في المكتسبات العلميّة والتّكنولوجية فحسب، ولكن أساسا في تأثير هذه المكتسبات على تصوّرات الأفراد وسلوكهم ومعيشهم وعلاقاتهم، وكذا على المؤسسات وعلى رأسها مؤسسة الأسرة، حيث تبثّ وترسّخ فيها قيم التعامل المتحضّر بين الزّوجة والزّوج من جهة، وبينهما وبين الأبناء من الجنسين من جهة أخرى.

يشكل العنف الممارس ضدّ الطفلة ثمّ المرأة فيما بعد، أحد الأسباب التي تحذو بالعديد من النّساء إلى ممارسة البغاء كما تبرز لنا ذلك أحاديثهنّ.

1 ـــ عنف التربية :

تسود التراتبية بين الجنسين في المجتمع التّقليدي، تدعّمها تصوّرات تغذيها العادات والممارسات التي ترسّخت عبر الأجيال، كما تساهم القوانين التي تمنح السّيادة للرّجل وتكاد تلغي حقوق المرأة في تكريسها والإبقاء عليها.

يتجسّد انعدام المساواة بين الجنسين في مجال التربية الأسرية، عبر السلوك الذي ينتهجه المجتمع التّقليدي تجاه الطفلة منذ ولادتها، والتّنشئة التي تخصّص لها، والتّصوّرات التي تحكم هذه التنشئة، والتي ترسّخ الميز الجنسي. تأتي البنت إلى العالم فتستقبل بعدد من الزْغاريد أقلّ من ذلك الذي تصدح به ألسنة النّساء حين ترزق المرأة بالمولود الذكر، ويكون ذلك بمثابة أوّل مؤشّر على الميز المذكور.

قد تخف وطأة التّمايز في التّنشئة أو يكاد التّمايز يختفي في الأسر التي يتوفّر فيها الزّوجان على مستوى تعليمي عال أو أحيانا متوسّط، يوهّلهما إلى الاقتناع بالقيم المستنيرة في التّربية والسلوك تجاه الأبناء من الجنسين، ومعاملتهما على قدم المساواة. ولكنّ هذه الخصائص لا تنطبق على أغلبية الأسر في العالم القروي والمدن، وخاصّة منها المدن الصّغرى، حيث يكتسي التغيير في البنيات والمؤسّسات والعقليات والمسلكيات وتيرة بطيئة، إن لم تكن بالغة البطء في حال المناطق المعزولة من العالم القروي.

قد يصل تضييق الخناق على البنت ثمّ الفتاة حدّا لا يطاق، بحيث تعامل بقسوة وتتلقّى التّعنيف اللفظي، ويمارس عليها العنف الجسدي لأبسط الهفوات وخاصّة من طرف الأب.

تقول "م" (27 سنة) التي نشأت في أحد الأحياء الشعبية بالدّار البيضاء : "كان أبي يمتهن بيع الخضر في السّوق المركزي، وكان قاسيا إلى حدّ أنّ الجيران أصبحوا يخافونه ويخافون عواقب شكايتهم بنا لديه، ذات يوم اشتكى بي أحدهم، أتدرين ماذا وقع؟ ضربني حتّى

سالت دمائي، وتركني مرماة أنزف، وضرب أمّي ولوى ذراعها إلى أن أصيبت بالكسر وهو يصيح بها : "هاذي ترْابيك ألْقـ".

لا أستطيع أن أردّد أمامك الكلمات التي كان يقذفها بها أمامنا، ولا أستطيع أن أتخيّل بأنّ امرأة قادرة اليوم على تحمّل ذلك.. كنّا أربعة إخوة وثلاث بنات أنا كبراهنّ.

كنت تلميذة نجيبة وخاصّة في مادّة الرياضيّات (ضحك!)، ولذلك مررت بعد حصولي على الشهادة الثانوية إلى شعبة العلوم الرّياضية. كانت الثانوية التي أدرس بها محاطة بالفيلات، وكانت أغلب زميلاتي يقمن بها مع أسرهنّ، كنت أودّعهن وأعود وحدي وأنا خائفة ممّا سيحصل في البيت... كنّا نتشاجر دائما فيما بيننا، وممّا زاد الطين بلّة أنّ أحد إخوتي بدأ يتعاطى للحشيش ويطلب من أمّي أن تعطيه المال، وكانت هي لا تملك شيئا، فبدأ يسرق بعض أواني البيت ليبيعها ويشتري الحشيش. ذات يوم ضبطته أمّي وهو يحمل بطانية فتشاجرت معه شجارا عنيفا، ضربها على إثره، ومن ذلك اليوم غدا هو الآخر يضربها ويضربنا جميعا حين نحاول تخليصها منه.. أين والدي؟ (ماهواش هنا!) والدي كان غائبا عن البيت طيلة النّهار، وحين يعود في المساء لا أحد يقدر على التحدّث إليه، ولم تكن أمّي تجسر على إخباره بما يجري في غيابه، بل إنّها لم تكن تنبس ببنت شفة أمامه خوفا من عنفه.. هل تعتقدين بأنّ هذا الجوّ يساعدك على الدراسة ؟ زميلاتي الآن مهندسات وطبيبات.. أمّا أنا فها أنت ترين حالي !!".

قد يغدو العنف الأسري الذي يمارسه الوالدان أو أحدهما وخاصّة الأب، سائدا في البيت بين الأبناء والأمّ من جهة، وبين بعضهم من جهة أخرى، وذلك ما نستشفّه من بقيّة حديث "ع" :

"... إنّ قهر البنت وضربها ضربا مبرّحا بمناسبة وغير مناسبة يزرع فيها قدرة غريبة على العنف.. حين أفكّر في كل ذلك أقول لنفسي بأنني كنت أحيانا أصاب بالجنون وأودّ ضرب أي كان... تصوّري بأنّني ذات يوم ضربت أمّي.. هل تتصوّرين ذلك ؟ نعم ! لقد ضربت أمّي وسخطت عليّ وهي تبكي، ولن أنسى ذلك أبدا.

كان اليوم جمعة، وكنت أودّ الذهاب عند صديقتي لقضاء بعض الوقت معها، منعتني أمّي من الخروج فتشاجرنا بالكلام، صممت على الخروج فحالت دوني والباب، حاولت أن أفتح الباب فمدّت يد ها إلى شعري، شدّتني منه وأسقطتني أرضا، لم أشعر إلاّ وأنا أنهض وأضربها على وجهها ورأسها... ليت الله يغفر لي .."

من مترتبات العنف في التربية فقدان البنت لثقتها في نفسها، وعدم قدرتها على طرح المشاكل التي تعترضها أو تعاني منها، وغياب الصّراحة في العلاقة بين البنت والوالدين، نتيجة الخوف الذي يتحكم في علاقتها بهما وخاصّة بالأب :

"... تصوّري نفسك تعيشين في بيت يسوده الخوف ولا أحد يفهمك فيه، ولا أحد يتحدّث إليك أو يسمعك أو يوضح لك أمرا من الأمور التي ستصادفينها في الحياة. كنت أخاف من ظلّي في الشارع، وإذا ما كنت أسير وسار رجل إلى جانبي، أسرع الخطى لكي أبتعد عنه، مخافة أن يراني أحد أخوتي، وخاصّة أكبرهم الذي كان كالغول، لا يتفاهم ولا يرحم ولا يعرف إلا الضّرب.

كان والدي يضربنا جميعا بناتا وذكورا، أما أمّي فكانت تضيّق علينا الخناق نحن البنات، ولا تكاد تحاسب إخوتي الذكور الذين كانوا

يخرجون من البيت متى يشاؤون.. لا أحد منهم توفّق في دراسته، الأكبر دخل السجن عدة مرّات بسبب السّكر والعنف.. عفا الله عنه وهو الآن متزوّج ويصلّي وقد تغيّر تماما.. الأخ الثّاني ذهب إلى إيطاليا، أما الأخير فيبيع السّجائر بالتّقسيط أو الموادّ المهربّة.. ".

لا ترسّخ هذه التّربية العنف وتعيد إنتاجه فحسب، كما هو الشأن في حالة أسرة "ع"، ولكنّها قد تؤدي بفعل الضغط والقمع اللذين تمارسهما على الفتاة، إلى نشدانها التخلّص واقتحام الحياة وحدها، مجرّدة من الحماية التّي توفّرها لها الأسرة، ولعلّ مسار "ع" نمط للمسار الذي سلكته العديد من الفتيات، اللائي هربن من أسرهنّ، ليجدن أنفسهنّ أسيرات لعالم البغاء !

"... ذات يوم ضرب والدي أمّي، رماها ببقيّة زجاجة فأصابها في ثديها، نزفت دما كثيرا وعملنا المستحيل لكي يكفّ، إلى أن أغاثتْنا جارة سمعت صياحنا، نزلت ومعها قنّينة بها عشوب مدقوقة وملأت بها الجرح فكفّ عن النزيف... كنت تلك الليلة أعدّ امتحان الرّياضيات فلم أستطع التركيز والاستعداد له، لم يغمض لي جفن وأنا أسمع تأوّهات أمّي.. كرهت أبي الذي ضربها وجرحها وخرج دون أن يفكّر في نجدتها، قلت لنفسي بأنّني لن أدرس في ذلك الجوّ، ولأوّل مرّة فكّرت في الهرب من البيت.. "

كثيرة هي الحكايات التي عاشتها النّساء اللائي دفعتهن قساوة التربية والعنف الأسري إلى الهرب من كنف الأسرة، ثمّ اللجوء اضطرارا أو عن اختيار لا يخلو من إكراهات إلى البغاء.

إنّها حكايات تختلف في التفاصيل، ولكنّ مؤدّاها ومترتباتها على مسار هؤلاء الفتيات متشابهة. تقول "ن" (29 سنة) :

"كان والدي قاسيا معي إلى حدّ لا يتصوّر، منعني من الدّراسة في سنّ مبكّرة بدعوى أن المدرسة ستفسد أخلاقي، منعني من الخروج إلاّ بصحبة أمّي أو أخي، كنت محرومة من كلّ شيء، وحين أبدي أيّ احتجاج يقول لي : "أش خاصـّك؟ ياك واكلا شاربا.. وحمدي الله!"

مالم أكن أتحمّله هو معاملته القاسية لأمّي، كانت أمّي امرأة طيّبة وورعة تحرص على الصّلاة في أوقاتها، وكان هو يشك فيها دائما وينعتها بأقبح الألفاظ أمامنا أنا وأخي.. في يوم لن أنساه قال لها أمامي : ومن أدراني بأنّ هذه البنت بنتي فعلا ؟ أصابني بطعنة لن أنساها قطّ.. أظلمت الدّنيا في عيني، ذات يوم جمعت بعض ثيابي وهربت إلى وجهة لا يعلمها أحد، ولم أعد إلاّ بعد وفاة أبي بأكثر من سنة.. مكثت مع أمّي عدّة أيّام ثمّ غادرتها من جديد".

ليس العنف ظاهرة ملازمة للتّنشئة التقليدية لدى الأسر، ولكنّ الثابت لدى هذه الأخيرة، هو ترسيخ القيم المحافظة في ذهنيّة البنت، وتلقينها بأن فرصتها في الزّواج وشرفها رهينان بحرصها على بكارتها. وعند ما تتعرّض البنت لاغتصاب أو تكون ضحية لزنا المحارم، أو تخوض مغامرة مع شابّ تؤدي إلى فقدانها البكارة، تجد نفسها وحيدة تعاني من عقدة الذنب، وترعبها إمكانيّة إطلاع أبويها على الحقيقة، وهي التي لطخت شرف العائلة. وهذه الوضعية تعدّ من العوامل التي تدفع الفتاة أحيانا إلى الهرب بدافع الخوف واتّقاء الفضيحة. تقول "خ" (28 سنة) :

"انقطعت عن الدّراسة في وقت مبكّر ودخلت إلى معمل لأتعلّم الخياطة، ذات يوم رآني شابّ فتبعني، لم أشأ التحدث إليه في البداية،

ولكنّه لاحقني في كلّ مكان، كان وسيما جدّا ومؤدّبا، وكان إبنا لإحدى الأسر التي تملك مراكب الصيد في المدينة.

تصادقنا وتطوّرت علاقتنا إلى حبّ جارف، صرنا ننام معا، وذات يوم أحسست بألم يمزّقني نزفت بعده قطرات من الدّم..

بكيت ولطمت وجهي وأنا أصرخ متّهمة إياه بافتضاضي، وكان هو يحاول أن يطمئنني، ويقول لي بأنه سيتزوّجني في أقرب وقت وسيحافظ على وعده.. هل وفى به؟ "الله يجيبك على خير !".

انتظرت عدّة شهور، لم أكن أنام أو آكل، كنت أفكرّ ليل نهار.. أمّي ؟ لم أستطع إخبارها بشيء، لو أخبرتها لقتلتني وقتلت نفسها خوفا من أبي... كنت فعلا مغفّلة، بعد كل هذه السّنين، علمت بأنّ هناك أطبّاء يعيدون البكارة إلى البنت... لو كنت أدري بذلك لما هربت من البيت ولما صرت إلى ما أنا عليه الآن".

2 ـــ العنف الزّوجي :

قد تسلم البنت من عنف التّربية، وقد تعاني منه وتتحمّله لكي تنفصل فيما بعد عن الأسرة وهي تحلم بحياة زوجية سعيدة، ولكنّ واقع هذه الحياة الزوجية قد يتكشف عن وهم، لأنّ السّعادة لا ترفرف بجناحيها على بيت تتعرض فيه الزّوجة للضرب، من طرف زوج يفترض أن تربطها به علاقة إنسانيّة حميمة، قائمة على الاحترام المتبادل وعدم امتهان كرامة الآخر.

تعنيف الزّوجة بالقول أو بالضرب من الممارسات التي قدْ ترسّخها التّنشئة الذّكورية في الأفراد من الجنسين، لذلك نجد الضّرب والتّلفظ بالألفاظ القدحيّة في حق الزّوجة عملة شائعة، يعانيها الأبناء منذ طفولتهم في العديد من الأسر.

ممّا لا شكّ فيه، أن بعضنا سمع أو لا زال يسمع أحيانا صراخ امرأة يمزّق سكون الليل، لأنّ زوجها الذي يعود متأخّرا إلى البيت يشبعها ضربا.

العنف المادّي ضدّ الزّوجة غالبا ما يصاحبه عنف نفسي، قد تستسلم له الزّوجة وتعتبره قدرا محتوما، لأنها نشئت على أنّ الزّوج سيّد البيت المطاع، وأنّ الزّوجة هي الطّرف الضّعيف الذي يجب أن يتحمّل ويصبر، ولو كان ذلك على حساب إنسانيّتها وكرامتها.

لا تخلو المجتمعات المتقدّمة ذاتها من ظاهرة العنف الزّوجي، وقد أثبتت بعض الدّراسات الإحصائية أن نسبة الزّوجات المعنّفات، يصل إلى الثلث (1/3) من ضمن مجموع النّساء المتزوّجات في فرنسا مثلا. وفي خضمّ الاهتمام بالقضية النّسائية، والدّور المتزايد الذي غدت تلعبه النّساء في شتّى الميادين، أولت الدّول والمجتمعات المدنيّة، والهيئات الدّوليّة خلال السّنوات الأخيرة، اهتماما كبيرا لظاهرة العنف، وعملت على شجبها والحدّ منها بكلّ الوسائل وخاصّة القانونية منها.

من المؤكّد أن نسبة الزّوجات اللائي يتعرّضن للعنف المادّي والنفسي ليست بالهينة، وإن كان الصّمت يغلّف الظاهرة أحيانا كثيرة، لأنّ العديد من النّساء يخجلن من الإعتراف بتعرّضهنّ للضّرب من طرف الأزواج، ويعتبرن تصريحهنّ بذلك امتهانا لهنّ، وحطّا من شأنهنّ في أعين الآخرين.

لا تلجأ كلّ الزّوجات المعنّفات إلى الحلول الانحرافية كالبغاء حتّى في حالة الطّلاق، ولكن ما يمكن أن نلاحظه من خلال النّساء

اللائى يمارسنه، هو أنّ العنف الزّوجي قد يشكل أحد العوامل التي تدفع بهنّ إليه. تقول "ل" (36 سنة) :

"أخرج منذ عشر سنوات، كنت متزوجة من شابّ كان يسكن معنا في الدّرب، كان يعمل خيّاطا، لم أكن أعرفه كثيرا، ولكنّه كان دائما يلاحقني بنظراته... ذات يوم جاء مع أمّه لخطبتي، وافق والدي ووافقت أيضا لأنّه كان وسيما جدّا.

بعد العرس في الصيف، انتقلنا إلى حيّ آخر حيث اكترى غرفة ومطبخا.. مرّت الأيّام الأولى بسلام، ولكنّه كان عصبيّا جدّا يغضب لأتفه الأسباب. ذات يوم قلب مائدة الطّعام لأنّ الأكل بارد...

ثمّ بدأ يسبّني سبّا كأنه السّمّ، ويذكرني في كلّ وقت بأنّني لا أعمل، وبأنّني عالة عليه، وبأن عليّ أن أبحث لنفسي عن عمل...

لقد كان يعرف حق المعرفة بأنّني كنت " بنت دارنا"، وأنّني لم أكمل تعليمي وانقطعت عن الدّراسة باكرا ولا زمت بيتنا، وهو الذي تقدّم لي ورغب في .. ليت الأمر وقف عند السّبّ، ولكنّه أصبح يضربني ويهدّدني كلّ مرّة بأن ينفخ عيني أو يكسّر أسناني.

ذات يوم رماني بلكمة في عيني فانتفخت وكادت تنفجر، ذهبت إلى الطبيب فأعطاني شهادة طبيّة، عدت إلى دارنا وصمّمت على الطّلاق. ومن يومها أقسمت ألا أتزوّج أبدا.....

صدّقيني إذا قلت لك بأن بعض الرّجال الذين ألتقيهم الآن يحترمونني بشكل لم أعرفه مع زوجي الذي ربطني به الحلال».

حكايات العنف الزّوجي لدى النّساء اللائي يمارسن البغاء شتّى. وكلّها تبرز بأنه كان السّبب المباشر للدّفع بهنّ إليه. تقول "ر" (31 سنة) "

"هل تودّين أن تعرفي كيف خرجت إلى هذا الميدان ؟ إسمعي ما سأقوله لك، لكل واحدة منّا قصّة لا يعرفها النّاس ولا ترضى هي بأن يعرفوها. إنّني لا أقرأ ولا أكتب، ولست من ذلك الصنف الذي يربح كثيرا... لم أفكّر يوما أن أصبح هكذا، ولكنّ زوجي هو السّبب.

كان يعود مخمورا ويضربني ضربا لا يطاق، لم يكن يصرف عليّ أنا وطفلي الرّضيع، لم نكن نجد ما نأكله فيتصدّق علينا الجيران الذين يعرفون وضعيّتي، هل تصدّقين بأن هذه التي أمامك لم تكن تخرج من الغرفة التي نكتريها معهم ؟

كانت جارتي امرأة عجوزا تعيش وحيدة، وكانت أحيانا ترفع "الخامية"، وتطلّ عليّ برأسها وتقول لي : "الله يهديك يابنتي، أخرجي لتري الضّوء وأطلقي سراح ذلك الطفل المسكين !"، ونادرا ما كنت أستجيب لها. أحيانا كنت أطلب منها أن تدخل وتجلس معي، وأخجل لأنّني لا أملك ما أقدّمه إليها...

صبرت كثيرا على الجوع والضرب، ولكنّ ما جعلني أقرّر الهروب هو ما قام به زوجي ذات ليلة.. إنّ لحمي يقشعرّ كلّما تذكّرت ذلك.. أنظري ! (تريني ذراعها المقشعرّ)، لقد عاد سكرانا وطلب منّي الأكل، قدمت له الخبز والزبدة، سألني أين الشّاي ؟ قلت له بأنّ السّكّر قد نفذ في الصّباح، اهتاج وصرخ. ارتاع الطّفل وشرع في البكاء فأمره

بالسكوت، المسكين لم يكن يعرف شيئا لأنّ عمره كان سنة فحسب، خفت عليه فحملته على ظهري.

أتدرين ماذا فعل أبوه ؟ لا يمكنك تصوّر ما قام به. لقد صاح فيه مرّة أخرى لكي يسكت، وعندما استمرّ في بكائه، أطفأ سيجارته في قدمه الصّغيرة كأنّها منفضة..

قضيت الليلة ساهرة، لم يغمض لي جفن ولم يكفّ الطفل عن الصّراخ.. في الغد حملت بعض ثيابي ولوازم الطّفل وهربت.. هل يمكن لأحد أن يعاشر إنسانا أحمق ؟".

تقدّم نساء كثيرات لا علاقة لهنّ بعالم البغاء، شهادات عن هذا العنف الزّوجي الذي قد يؤدي بالمرأة أحيانا إليه. تقول امرأة تجاوزت الخمسين من العمر : "ضرب الزّوجة قد يؤدي إلى عواقب لا تحمد عقباها، وهو عيب وعار.. كان أزواجنا "اصعاب بزّاف"، ولكنّهم لم يكونو يضربوننا، لأنّ الهيبة لا تكون بالضرب.. كنّا نسكن شقّة في عمارة، وكانت الشقة المجاورة لنا في ملكيّة رجل يعيش مع زوجته.. كانت شابّة جميلة ومؤدّبة، وكان هو شابّا متعلّما يعمل بالبنك، كنّا نسمع صراخها دائما وهي تضرب ولا نجسر على التدخّل، لأن الباب كان دائما مغلقا.

ذات ليلة خرجت المسكينة تصرخ وهي مرتدية قميص النّوم، ومن يومها لم تعد إلى البيت ولا ندري ماحصل بينهما... منذ شهور جاء ابني وسألني إن كنت أذكرها، قلت له بالطبع ! فأخبرني بأنّه شاهدها عدّة مرّات في مكان مشبوه...

لقد سكنت معنا قرابة أربع سنوات، وكانت مثال الزّوجة المتخلّقة، والله وحده يعلم ما وقع لها.. "الضّرب خايب بزّاف.. وراه حْشومة وعار".

تحكي امرأة أخرى عن هذا العنف المؤدي ببعض النّساء إلى الانحراف : "كانت "ر" جارة لنا، لها ثلاثة أطفال، زوجها كان عاطلا ويتعاطى الحشيش، يعمل أحيانا هنا أو هناك، ولكنّه كان يتخاصم كثيرا مع من يعمل معهم فيطردونه. كانت المرأة المسكينة تشتغل خادمة في البيوت، وحين تعود في المساء تسلمه ما أتت به من نقود وإن مرّت على الحانوت واشترت أكلا للأطفال، وصرفت ما أتت به يوجعها ضربا ويطردها هي وأطفالها من البيت... والله لن يصدّق أحد ما كانت تفعله ! سأحكيه لك لأني رأيته بعينيّ هاتين اللّتين سيأكلهما الدّود والتراب.. لقد كانت تأخذ غطاء وتذهب هي وأطفالها إلى باب مركز الأمن المجاور، وتقضي الليلة هناك حتّى لا تتعرّض لاعتداء .. كانت الشرطة تستدعيه أحيانا ولكنّهم لا يقبضون عليه فيعود إلى حالته..

ذات يوم رحلت تلك المرأة، وكان عليها أن تعيل أطفالها الثلاثة، ماذا تفعل المسكينة ؟... لقد غدت مومسا،، ذهبت بأطفالها إلى حيّ آخر لتعيش في مكان لايعرفها فيه أحد.. ذات يوم التقيتها في الحافلة، لم تجسر على النظر في وجهي، قلت لها في نفسي "كلّنا وليّات"..

الجسد المعنّف سواء في البيت الأبوي أوفي بيت الزّوجية، قد يغدو مستباحا بفعل العنف ذاته، تقوده دروب مختلفة إلى البغاء، في حالة انعدام المؤهلات والفقر لدى الأغلبية من النّساء اللائي يقتحمن عالمه المرعب.

قد لا يكون الفقر عاملا رئيسيّا لدى أقليّة من الفتيات والزّوجات الشابات، اللائي عانين من قساوة التّربية أو الحياة الزّوجية. ولعلّ أبلغ تعبير عن هذه الوضعية، يكمن في شهادة تلميذة لا يتجاوز عمرها الثامنة عشرة، توصّلت بإدراكها ومعاينتها لواقع بعض النّساء إلى هذه الشهادة، بشأن عنف التربية والعنف الزّوجي في آن :

"يمكن أن أخبرك عن حالة أعرفها جيّدا وعايشتها. يتعلّق الأمر بشابة جميلة كانت تسكن بجانبنا.. كان زوجها قاسيا جدّا، يضربها دائما، وكم من ليلة كانت تلجأ إلينا هاربة في حالة يرثى لها. تحمّلت هذا العذاب ستّ سنوات رزقت خلالها بطفلتين..

ذات يوم حصلت منه على الطلاق، تنازلت له عن كلّ شيء وسافرت إلى الخارج.. لقد شاع في الدّرب بأنها تمارس البغاء هناك.. وهي الان تملك ڤيلا ومحلا للخياطة الممتازة، وتلبي رغبات الطفلتين، وتدرّسهما في أحسن المدارس.. لوقلت لهذه المرأة أن تسلّم نفسها لمغربي لبصقت عليك، إنّها لا تعاشر إلاّ الأجانب.. ذات يوم التقيتها أنا وأختي فأكّدت ما قلته لك، وحين حكينا ذلك لأمّي قالت لنا "لعنة الله عليها"، ولكنّي أرى أنّها على حق، رغم أنّي أعارض اختيارها لهذا الطريق.

أتعرفين ! إنّي أعتقد بأنّ التربية التي نتلقاها هي السبب في توجه الفتاة الصغيرة إلى البغاء. الآباء يتشدّدون كثيرا، ولا يعرفون أنّ بإمكان الأبناء الضحك عليهم .. أعرف فتيات صغيرات لا يتجاوز سنّهن السّادسة عشرة، يدرسن معنا هنا في الثانوية، ويمارسن البغاء، يذهبن مع رجال في سنّ آبائهنّ، وهنّ لسن محتاجات إلى المال البتّة..

سأعطيك مثلا بزميلة لي أعرفها حق المعرفة، إنّها تنتمي إلى أسرة ثرية جدًا، لكنّ أباها بالغ القسوة، إلى حدّ أنّ أمّها تنتظر نتائجها وتكون مرعوبة إذا لم تحصّل البنت على نقط جيدة، وتأتي عند الأساتذة وتستعطفهم. ذات يوم سافر والداها إلى أوروبا لمدّة شهر لأن أباها كان محتاجا إلى العلاج هناك، منذ الليلة الأولى خرجت مع شاب وفقدت بكارتها، وقد أخبرتني بذلك ولم تعبإ بالأمر، فحذّرتها من الحمل والعواقب.. ألا تعتقدين بأن مثل هذه التربية قادرة على الدّفع بالفتاة إلى ممارسة البغاء؟".

الفصل الثالث

الــزواج المبــكّــر

قد يتراجع الكثيرون ممن يرفضون اليوم مطلب الرفع من السّنّ الأدنى للزّواج إلى 18 سنة، لو عرفوا أنّ الزّواج المبكّر يشكل أحد العوامل الرّئيسية للطلاق في المغرب : (12٪ من المطلقات ينتمين إلى الفئة العمريّة 15 - 24 سنة)[1]، إضافة إلى كونه من أهمّ الأسباب التّي تحذو بالنّساء إلى البغاء بعد الطلاق.

من أبرز مؤشرات التحوّل في الأسرة المغربية الراهنة ارتفاع معدّل سنّ الزواج لدى الجنسين في الأوساط المدينيه والقروية بشكل عامّ. عوامل هذا الارتفاع قد تعود إلى إقبال النّساء على التّعليم وخوضهنّ الحياة العمليّة، كما تعود إلى انعكاس الأزمة الاقتصادية على حياة الأفراد من الجنسين، وخاصّة في المدن الكبرى حيث مستوى العيش جدّ مرتفع، والسّكن غير متوفّر، وكلّها عواقب قد تقف حائلا دون الزّواج لدى العازبين من الجنسين.

رغم هذه المؤشرات العامّة، تظل العقلية المحافظة في بعض الأوساط تحصر دور المرأة في البيت والعناية بالأطفال، وتعتبر البنت عبئا يجب التّخلص منه، فالزّواج سترة، والدّعاء الشائع في المجتمع

---

1 - Etat Matrimonial

مرجع سابق. ص 81.

المغربي هو أن نقول للبنت "الله يجيب لك شي نقرة فاش يغيب نْحاسك"، ودون أن نخوض في الدّلالات الحافّة لهذه الأمنية (الفرق بين المرأة / النحاس، والرّجل / النّقرة)، ندرك بأنّها تجسّد إحدى القيم التي يرتكز عليها المجتمع التّقليدي في تصوّره للمرأة ودورها، واعتبار زواجها الهدف الأسمى الذي يحقّق لها المكانة الاجتماعية اللائقة.

هذا النّسق القيمي المحافظ بدأ يشهد تحوّلات بفعل متغيّرات كثيرة في أوضاع النّساء والمجتمع، هناك قيم أخرى تترسّخ تدريجيا، ومن ضمنها اقتناع الاباء بتعليم البنات، وتمكينهنّ من الوصول إلى أعلى الشّهادات لخوض حياة عمليّة ناجحة، واقتناع النّساء ذاتهنّ بأنّ الزّواج ليس هدفهنّ الوحيد في الحياة، إذ توجد إلى جانبه أهداف أخرى يجب أن يحقّقنها، تتعلّق أساسا بتحمّلهنّ لمسؤوليتهنّ الذّاتية، وتحقيق قدر من الاستقلالية المادّية التي تنجم عن هذه المسؤولية.

وفي حين كانت الفتاة توصف بالعنوسة إذا ما تجاوزت عشرين سنة من عمرها وأكثر بقليل، فإنّها في هذه السّنّ وفي المدن على الأخصّ، غالبا ما تكون متابعة للدّراسة أو مقبلة على الحياة العمليّة، إذا لم ترتد الأسلاك العليا من التّعليم.

رغم ذلك يظل الزواج المبكّر بالنّسبة للبنت ظاهرة موجودة لدى الأوساط التّقليدية والشعبية منها على الأخصّ، حيث ترغم بعض الأسر وأغلبها من العالم القروي بناتها على الزّواج في سنّ مبكّر.

يستغل الولي السّلطة التي يخولها له القانون وتزكّيها الأعراف، فيفرض على الفتاة التي لم تغادر عالم المراهقة أو عالم الطفولة أحيانا، ميثاقا زوجيا يربطها برجل قد يكون أكبر منها سنّا بكثير، ويجعلها تقتحم وضعا غير مؤهلة لتحمل المسؤوليات المنوطة بها فيه، فضلا عن

عدم تفاهمهما مع شريك لا تكنّ له ميلا، والنتيجة أنّها تغادر بيت الزّوجية عند ما تدرك بأن حياتها معه مستحيلة.

وإذا ما كانت متأكّدة من رفض أسرتها لطلاقها، أو مدركة لعدم قدرة هذه الأخيرة على إعالتها، تنتقل إلى مكان آخر، وقد تسقط فريسة للبغاء وشركه الذي لا يرحم.

قد تزكي الزّواج المبكّر كذلك أوضاع أسريّة معيّنة، منها مثلا وفاة الأم وتزوّج الأب بامرأة أخرى، أو طلاق الأمّ أو موت الأب، وكلّها عوامل تدفع بالأسرة إلى الزّجّ بالبنت في مغامرة زوجية غالبا ما تنتهي بالفشل، لأنّها غير مؤهّلة ماديا ومعنويّا لخوضها.

تقول "ش" (26 سنة) :

" إنّه الجنون بعينه ! كيف يمكن للآباء أن يزوّجوا طفلة صغيرة بمشيئتهم ؟ لقد تزوّجت في سن كانت فيه بنات سنّي يذهبن إلى المدرسة. أمّا أنا فقد رموا بي إلى النّار حتّى يتخلّصوا منّي ومن لقمة الخبز التي أبلعها. لكلّ شيء أوانه والزواج كذلك يجب أن يكون في أوانه.

إنّ من يدافع الآن عن الزواج المبكّر - وقد شاهدتهم في التّلفزيون - لا يعرف عمّ يتحدّث لأنّ ابنته أو أخته لم تكتو بناره... ".

أمّا "م" (28 سنة) فتقودنا إلى مسار حياة فتاة صغيرة عانت من شتى أشكال الاضطهاد في كنف زوج يكبرها سنّا، إضافة إلى ذلك العناء الذي كابدته كأمّ رزقت بطفلين تباعا وهي صغيرة السّنّ، غير عارفة بقواعد الرعاية التي تستلزمها تربيتهما، فضلا عن كونها وجدت نفسها في عداد المطلّقات وهي لم تتجاوز الثامنة عشرة :

"طلقت في سنّ الثامنة عشرة، تصوّري ! الفتيات في مثل سنّي كنّ في المدارس وأنا كنت مطلّقة بطفلين، إنّني من قرية جبلية، زوّجني والدي وأنا بنت الخامسة عشرة لأحد أصدقائه بعد أن طلّق زوجته الأولى، كنت صغيرة لا أفهم شيئا، وكان الأمر كاللعبة بالنّسبة لي.

تعوّدت أن أطيع والدي ولا أخالف له أمرا، وحين أخبرتني أمّي بقراره لم أبد اعتراضا... الجحيم بعينه بدأ بعد أن تزوّجت. كان زوجي سائق شاحنة يغادر البيت معظم الأوقات، وكان قاسيا وغيورا جدّا، يشكّ في كلّ تصرفاتي. أمّا اليوم الذي أكتحل فيه أو أضع أحمر الشفاه فهو يومي، ما أن يفتح الباب ويلقي نظرة عليّ حتّى "يملّق معايا بطرشة"، وينعتني بالبغي.. هل سبق لك أن رأيت رجلا يغلق الباب على زوجته بالمفتاح في القرية ؟ كانت أمي تخرج من دارنا في جميع الأوقات ولم يكن والدي يعترض على ذلك... الواحدة منّا في القرية تجلب الماء وتحطب وترعى الماشية، كانت الغابة بعيدة عنّا، وكانت النّساء يذهبن إليها وحدهنّ، أمّا أنا فكنت سجينة بين الجدران... رزقت بطفلي الأوّل بعد عام ونصف من زواجي، كنت صغيرة لا أعرف شيئا، كنت أخاف من حمل ابني ولا أدري كيف أرضعه إلى أن تجمّد الحليب في ثديي الأيسر، وكدت أموت حين عصرته أمّي حتّى أتخلّص من الحليب المجمّد فيه، وكان طفلي جوعان لا يكفّ عن البكاء. بعده بعام وشهر رزقت بطفلي الثاني، لم يكن الأمر كما كان في السّابق، أصبحت أعرف كيف أعتني به، ولم أعد أبكي كلّما ارتفعت حرارته أو أصيب بالإسهال... تعوّدت مع الأيام على تلك الحياة القاسية، ولكن ما لم أعد أحتمله هو الضّرب المبرّح الذي يكيله لي زوجي.. لا أخفيك بأنّني سليطة اللسان، لم أكن أسكت حين يسبّني ويسبّ أبي وأجدادي، وكان يثور ويضربني..

كان طفلي الأوّل قد بدأ يمشي، وكان يصرخ كلّما رأى والده يضربني ويتشبّت بأذيالي، ذات يوم انتزعه أبوه منّي ورمى به عرض الحائط وكأنّه كرة، جنّ جنوني، جريت نحو المطبخ وحملت يد المهراس وكدت أرميه بها، لولا أنّه كان أسرع منّي وقبض على يدي بشدّة، صرخت وحملت أطفالي وغادرت البيت ولم أعد إليه أبدا. أقمت في بيت أبي مدّة تجاوزت السنة، كان عليّ أن أطعم طفليّ، وكان والدي فقيرا.. كيف يمكننا العيش أنا وأمّي وأبي وطفلاي ؟ عملت بإحدى الضيعات القريبة، كنت أغادر البيت عند الفجر لأركب الشاحنة التي تقلّنا إلى الأرض التي نعمل بها في جني الفاكهة، ولا أعود حتّى يسدل الليل أستاره وأنا أكاد أسقط من الإنهاك.

غدا الصّداع يلازمني من جرّاء التّعرض لحرارة الشمس، كانت أمّي تحضّر لي الأعشاب التي أخلطها بالحنّاء وأضعها على رأسي بغية التخفيف من الألم.. مشكل العمل في الضيعات هو أنه موسمي ولا يدوم طويلا، تعملين الصيف وتظلين عاطلة خلال الشتاء.. ذات يوم اقترحت عليّ صديقة تعمل معي أن نذهب إلى المدينة المجاورة للبحث عن عمل، قالت لي بأنّ "المدينة مافيهاش هذا القهرة" وأنّها تقبل بالفقير ولا أحد فيها يجوع.

أخبرت أمّي وأبي بأنني سأرحل للعمل وأعود بالمال اللازم لهما وللطفلين، وذلك ما فعلته، ولكنّني عوض العمل أصبحت أمارس هذه الحرفة.

صديقتي كانت عارفة بهذه الأمور، أمّا أنا فقد كنت "بوجادية"، بعد أن نزلنا من الحافلة، عرضت عليّ أن نذهب عند صديقة لها بيت تسكنه وحدها، لم يكن أمامي خيار لأنّني لا أعرف أحدا فتبعتها.

كانت صديقتها تملك دارا للدّعارة يأتيها الرّجال، أغلبهم من الفلاّحين في المنطقة المجاورة للمدينة. هل قبلت بالأمر؟ أقول لك الحقيقة، كنت أعرف بأنّني لن أجد عملا في المدينة، ولذلك قبلت به. ما إن رأتني صاحبة البيت حتّى رحّبت بي وأبدت إعجابها بجمالي، وطلبت منّي أن أذهب إلى الحمّام، وناولتني ثيابا نظيفة واللوازم والنقود... في أوّل الأمر لم أكن أحتمل النّوم مع رجال لا أعرفهم، ولكنّني تعوّدت على الأمر شيئا فشيئا...

كانت ربّة البيت تحنّ عليّ كثيرا وخاصّة عندما أبكي وأنا أتذكر ابنيّ. إنّني أمارس البغاء، منذ حوالي ست سنوات، وأذهب إلى دارنا في القرية في نهاية كل شهر وفي الأعياد. أحمل لهم التّموين والثياب والأغطية إذا ما احتاجوا إليها، وأدع لأبي قدرا من المال حتّى يجد ما يتسوّق به.

أبي مريض ولم يعد قادرا على العمل، وأمّي أصبحت تطلب منّي البحث عن طفلة من القرية تساعدها في البيت والعناية بأطفالي... إنّها لا تملك فكرة عمّا أعمل ولو علمت به لما قبلت وكذلك أبي، إنها تعتقد بأنّني خادمة في بيوت أحد الأغنياء حسب ما حكيت لها... آه ! لودرت المسكينة بما أفعل ! ولكنّ الذّنب ذنب والدي وليس ذنبي.. هو الذي زوّجني صغيرة جدّا..".

إذا عاينا بالملموس ظاهرة فشل الزّواج المبكّر على اعتبار كونها أحد العوامل المباشرة في توجّه فئة من النّساء إلى البغاء، ندرك أهمّية مطلب كذلك الذي تدعو إليه جهات حكومية وغير حكوميّة في المغرب راهنا، أي الرّفع من السّن الأدنى للزواج إلى 18 سنة، إذ تصبح الفتاة مؤهلة ولو نسبيا لخوض الحياة الزّوجية، متوفّرة على قدر من

التّميز الذي يساعدها على التّلاؤم بين وضعها الجديد وتحمّل المسؤوليات فيه.

ليس مطلب الرّفع من السّنّ الأدنى لزواج المرأة بغريب على المجتمعات العربية وحركاتها النّسائية، وقد يستغرب البعض إذا عرف مثلا بأن الحركة النّسائية المصرية النّاشئة في العشرينيات من القرن الماضي قد رفعت هذا المطلب الذي سبق وأن أقرّه مفكّر إسلامي متنوّر وهو الشيخ محمد عبده (1849 ـ 1905).

وإذا كان من دليل على تراجع المدّ التّحديثي في المجتمعات العربيّة، فهو حاجة النّساء العربيات فيها الان لطرح هذا المطلب والنضال من أجل اكتسابه، في حين أنّه كان من المطالب الرّئيسية التي طالبن بها في بداية القرن الماضي، ولم يستطعن نيلها في مجتمعات ذكوريّة تقاوم التّغيير.

سلبيات الزّواج المبكّر ذات مستويات متعدّدة، بما فيها ذلك الذي يرتبط بالصّحّة الإنجابية وتشوّهات الجنين عندما تكون الأمّ صغيرة السّن. إضافة إلى ذلك، لهذا الزّواج مترتّبات خطيرة على بنات لم يكدن يغادرن عالم الطفولة، يتمّ الزّجّ بهنّ في تجربة زوجيّة قد لا تنتهي إلى الفشل فحسب، ولكنّها قد تكون حاسمة في تقرير مصيرهنّ المستقبلي حينما يرتدن عالم البغاء.

الفصل الرابع

التحرّش الجنسي والاغتصاب

مع تصاعد الإهتمام بوضعية النّساء عبر أنحاء العالم خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، أثيرت مواضيع كانت تدخل في دائرة المسكوت عنه، كالتحرّش الجنسي الذي يمثل شكلا من أشكال الاعتداء على كرامة المرأة، واعتبارها فريسة ينوي الرّجل اصطيادها، مستعملا جميع الوسائل التي تصل أحيانا إلى الضغط عليها لكي تلبّي له رغباته.

تتعرّض المرأة لهذا التحرّش في كلّ الأمكنة العامّة بما في ذلك أمكنة العمل، وقد تؤهلها وضعيتها للصّمود والتّحدّي واللامبالاة، إن لم يكن الاحتقار تجاه من يتحرّش بها من الرجال، إذا ما كانت تتوفّر على شروط هذا التأهيل، أمّا في حالة تجرّدها من كلّ المؤهلات التي تمكّنها من المواجهة والتصدي لمن يتحرّش بها، لأنّه يملك بين يديه زمام مصيرها بشكل أو بآخر، فإنها تسقط ضحية له.

شيوع التّحرّش الجنسي بالمرأة كسلوك اعتياديّ في أمكنة العمل وغيرها من الأمكنة العامّة، يعكس التصوّرات السّائدة عنها في المجتمع من جهة، وكذا التصوّرات السّائدة عن العلاقة بين الرّجل والمرأة والأدوار بين الجنسين بشكل عامّ.

ينسج المتخيّل الجمعي صورة للمرأة / الأنثى التي يَرْمِي الرّجل/ الذكر إلى الإيقاع بها بأي ثمن وإغرائها ثمّ اصطيادها، وحتّى وقت

قريب، كانت المرأة تعتبر هذا السلوك الجنسي العدواني تجاهها قدرا لا مفرّ منه، لأنّه يعكس تصوّرها هي ذاتها، وتصوّر المجتمع بكامله لطبيعة الأدوار بين الجنسين ومهامّهما في الحياة. حيث يتخذ الرّجلُ زمام المبادرة، ويفرض نفسه على المرأة ويغريها بشتى الوسائل بما فيها الضغط لكي تنقاد له، مرسّخا بذلك التّراتبية الجنسية، التي تجعل منه سيّدا وصيّادا دائما، وتجعل من المرأة تابعة وفريسة منتظرة.

قد يؤدي التغيير التّدريجي الذي يمسّ وضعية النّساء، وكذا المجتمع بشكل عامّ، إلى التخفيف من أشكال التّحرّش الجنسي الممارس ضدّ المرأة، ولذلك غدا هذا التحرّش من الظواهر السلبية، التي تحاول المجتمعات وخاصّة المتقدمة منها، وكذا الهيئآت الدولية، الحدّ منها وردعها باعتماد إجراءات قانونية صارمة، يساعدها في ذلك تصاعد الوعي النّسائى الذي يؤدي إلى استشعار المرأة كرامتها، ورفضها لكل امتهان قد ينال منها.

تبرز التجربة الذاتية لمعظم النّساء تعرّضهن للتحرّش الجنسي بشكل أو بآخر، لأن تغيير تصوّرات الجنسين عن طبيعتهما وأدوارهما الإجتماعية ليس بالأمر اليسير، يعود ذلك أساسا إلى العوائق الثقافية الناجمة عن القيم المبنية على التمايز الجنسي والتي ترسّخها التّنشئة في الأفراد. ومن ثمّ فإنّ الجانب الأصعب في إشكالية التغيير، يتمثل في عدم قدرتهم على مواكبة التحوّلات الحاصلة في أوضاعهم الثقافية، والسوسيو ــ اقتصادية بشكل عامّ.

خوف ــ الحداثة حسب تعبير فاطمة المرنيسي يظل هاجسا، والمعاناة في هضم القيم الحديثة المنبنية على المساواة بين الجنسين قد

تصل أوجها، حين تعبّر عن نفسها في شكل ازدواجية فظيعة بين الفكر والسلوك، لدى العديد من الرّجال والنّساء على السّواء.

أهمّ صفات الحداثة كما عاشتها المجتمعات المتقدّمة، تتمثل في العقلنة الاقتصادية والسياسية، وفي غياب هذه الشروط انبرت المجتمعات المتخلّفة للأخذ بالجوانب التّقنية من الحداثة في شتى مظاهر الحياة اليومية بما في ذلك وسائل الإعلام، في حين لم يتشبّع الأفراد بقيمها الحقيقية التي تفترض تغييرا في التصوّرات والسلوك. ذلك أن الحداثة المتحقّقة فعلا هي تلك التي تؤثر على الفكر والسلوك وأنماط العيش، أي أن الجانب الأساسي فيها، هو التأثير الذي تمارسه على المستوى الثقافي بالمفهوم الواسع لمعنى الثقافة. لذلك قد نخلص إلى القول بأن مجتمعنا لا يعيش الحداثة، وإنما يعرف التحديث، أي استيراد تقنيات الغرب ونقل وسائل عيشه، دون التشبّع بالقيم الفكرية الحقيقية التي ترسّخها الحداثة، وخاصّة فيما يخصّ المرأة ودورها في المجتمع والأسرة على السّواء، وضرورة ارتكاز العلاقة بين الجنسين على المساواة التي تعزّزها وترسّخها القوانين في الواقع المعاش. يشكل موقف مجتمع من المرأة ومكانتها فيه معيارا أساسيا لمدى سيره على درب الحداثة، ولذلك كانت قضية المرأة محور اهتمام وصراعات منذ بداية القرن الماضي في بعض البلدان العربية وعلى رأسها مصر، وبما أن الإشكالات التاريخية في المجتمعات العربية لم تحلّ بعد، وعلى رأسها الصراع بين الحداثة والأصالة، فإن قضيّة المرأة تعود من جديد لتحتلّ الصّدارة كمحور للنزاع، بين المناصرين والمعادين لتمتّعها ببعض الحقوق الدّنيا في أغلب الأحوال.

لم يستوعب الكثير من الرجال والنّساء في المجتمع المغربي بما فيه الكفاية الأدوار الجديدة المنوطة بهم في خضمّ التحوّلات التي عرفتها المؤسسات منذ القرن الماضي، ولذلك يظلّ السلوك الذي يرى المرأة فريسة وكائنا مغريا سائدا في الكثير من الأماكن ومنها أماكن عمل حديثة، قد نستغرب إذا ما لمسنا مقدار التحرّش الجنسي الذي تتعرّض له المرأة فيها.

قد نتخيّل بصعوبة العلاقة بين التحرّش الجنسي والبغاء، لأنّ التصوّر السائد عن المرأة التي تمارسه يحذو بنا إلى الاعتقاد بأنّها تقبل به، وقد تشجعه لأنّه يجلب إليها زبونا منتظرا.

إلاّ أن الأحاديث مع هؤلاء النّساء، تكشف بأن مجموعة منهنّ قد مارست البغاء فعلا بدافع التحرّش الجنسي بهنّ في كلّ الأماكن التي حاولن العمل بها سابقا. وندرك ذلك أكثر إذا ما عرفنا بأنّ أغلبهنّ أميّات أو غادرن المدرسة في سنّ مبكّر، وأنهنّ لا يتوفّرن على أيّة مؤهلات يقتحمن بها سوق الشغل.

تبحث الفتاة عن عمل متواضع فتجده، ولا تلبث أن تدرك بأنّ من شغّلها يرمي إلى تحقيق أغراضه منها، ويتحرّش بها لنيل هذه الأغراض، وقد تؤدي التجارب المتكرّرة في غياب الوعي الذاتي، ببعض النّساء اللائي يمارسن البغاء إلى الاعتقاد بأنّه موجود في كلّ مكان، والنتيجة أنّهنّ انبرين لممارسته في الوضوح.

تقول "ر" (29 سنة) : "حاولت أن أشتغل، ذات يوم عثرت على عمل بمحلّ لبيع الحلويّات، رآني صاحب المحلّ فقبل بي على الفور، وأمرهم بأنْ يكلّفوني بالبيع لأنّني جميلة وسأجلب الزّبائن.. تصوّري !

لقد قال ذلك أمامي.. اشتغلت عنده أسبوعا، وتلاءمت مع المهنة، وفي نهاية ذلك الأسبوع، طلب منّي أن ألحق به في سيّارته بعد الإقفال في المساء، وحدّد لي المكان الذي سينتظرني فيه... كان الرّجل في سنّ أبي، كيف يمكنني أن أربط علاقة به ؟ تظاهرت بالرّضوخ، أخذت أجرتي الأسبوعية وخرجت دون عودة. حكيت لصديقتي ما حصل لي مع ذلك العجوز، وقلت لها بأنّني لا أتحمّل رؤيته فبالأحرى أن أخرج معه.. ما حكيته لك حصل لي مرارا .. بعدها قلت لنفسي مادام الكلّ يطمع فيّ فلأفعل ذلك ولأتقاضى عنه أجرا.. ألم أقل لك ؟ البغاء موجود في كلّ مكان، إلاّ أنّه لا يظهر أحيانا، أغلب السكرتيرات في الشركات يمارسنه (؟ ؟)، إلاّ أنّه لا يظهر، كيف تحصل الموظّفة على شقة وسيّارة، وهي تتقاضى 4000 درهم شهريا ؟ قولي أنت : كيف تحصل على ذلك ؟»

حين يسلك الفرد طريق الانحراف، قد يلجأ إلى تبريره بشيوع هذا الانحراف، وبكونه الحلّ الأوحد للذين أو اللواتي يمارسنه. كثيرا ما نصادف هذا الموقف لدى من يمارسن البغاء، لأنّ العالم الذي يرتدنه يسيّجهنّ بين جدرانه، فلا يرين أفقا آخر غيره، ولذلك فإنّ التّحرّش الجنسي الذي تتعرّض له المرأة لا يستثير فيها الرّفض، فتطالب بكرامتها وحقّها في الاحترام، ولكنّه قد يؤدّي بها إلى التحدّي السلبي، أي تجاوز التّحرّش الجنسي بالسّقوط في البغاء.

خارج دائرة العلاقة الجنسية التي يؤدي عنها الرّجل أجرا، تتعرّض البغايا للتحرّش الجنسي في كلّ مكان، وخاصّة في بعض المواقف الصعبة التي يعشنها، كسقوطهنّ في يد رجال الأمن تضيف "ر" الكلّ يريد أن ينام معك ويطمع فيك، ابن الجيران الذي يعرف ما تفعلينه

ويعيّرك بأنّك مجرّد بغي .. إذا لم تأبهي به.. أصحاب المتاجر المجاورة. إنّك تتقزّزين عندما تدخلين محلّ أحدهم لشراء شيء حيث يردّد على مسامعك بأنه في خدمتك وتحت تصرّفك.. أمّا الطّامّة الكبرى فتحصل حين يقبض عليك رجل من الأمن ويقول لك بصراحة : إذا أردت أن أطلق سراحك نامي معي !.. إنّهم جميعا يعرفون كم أتقاضى في الليلة الواحدة، ولا أحد فيهم قادر على إعطائي الأجر الذي أطلب.. حين يعترضني ابن الجيران أقول له في خاطري : إنّك وسيم ومتعلّم، ولكنّك خاوي الوفاض ولا حاجة لي بك ...″

قد يؤدي التحرّش الجنسي إلى الاغتصاب الذي ذهبت وتذهب ضحيّته نساء كثيرات بل طفلات أحيانا، وهناك فئة من النّساء اللائي يمارسن البغاء، كان الاغتصاب أحد العوامل الأساسية التي دفعت بهنّ نحوه، وخاصّة منهنّ اللائي مارسن الخدمة المنزلية في طفولتهن أو شبابهنّ.

تقول ″ع″ (34 سنة) : ″أصلي من البادية، منذ طفولتي وأنا أشتغل في البيوت لأنني كنت يتيمة، مات أبي ودفعت بنا أمّي نحن الثلاثة إلى الخدمة في البيوت، كانت تأتي آخر كل شهر لتأخذ أجرنا وتعود إلى القرية. انتقلت بين عدّة بيوت، وكانت أمّي ترفع من أجري كلّ مرّة أنتقل فيها من بيت إلى آخر. حين وصلت الخامسة عشرة تقريبا اشتغلت لدى أناس ″ديال الأبّهة″، كان الرجل تاجرا غنيا جدّا.. الفيللا كبيرة والحارس وسائقان وثلاث خادمات وو.. لاتسلي ! بقيت معهم ثلاث سنين، ثم أصبح الرّجل يتحرّش بي، يقرصني أو يلمسني إذا ما صادفني في الدّرج أو إحدى الممرّات، ويهمس لي بأنّني جميلة وأنه مجنون بيّ.. صدّقته وقلت بأنّني جميلة فعلا وهو معجب بي،

وقد يحبّني ويتزوّج بي ويشتري لي دارا أسكنها وحدي.. نمت معه عدّة مرّات ولم أكن قد نمت مع رجل آخر قبله، بعدها بدأت أحسّ بالدّوخة وأتقيّا باستمرار، لاحظت سيّدتي ذلك فاختلت بي في غرفتها فاعترفت لها بما حصل.. هدّدتني بأن تحملني إلى البوليس إذا صرّحت لأحد بالأمر، ساعدتني على الإجهاض، وأعطتني قدرا من المال، وأرسلتني مع السّائق إلى دارنا.. ماذا قالت أمّي ؟ وهل حكيت لها ؟ لا ! هل أنا حمقاء لكي أخبرها بأنّني لم أعد عذراء ؟

ثمّ ماذا في إمكاننا نحن الفقراء، ضدّ ذلك الرّجل ذي العلاقات والغنى الفاحش ؟ اندهشت أمّي للقدر الذي حملته معي من المال ولكنّها لم تلحّ عليّ في السؤال، بل اكتفت بالدّعاء لهم على كرمهم وتصدّقهم في سبيل الله.. لم تكن تعلم أيّ ثمن أدّيته، كما أنّني لم أخبرها بأنّني احتفظت بقدر من المال لنفسي. وحين زاولني التّعب واسترجعت عافيتي عدت إلى المدينة، واكتريت غرفة مع الجيران، واشتغلت عند عائلة دلّني عليها أحد حرّاس العمارات، كنت أشتغل نهارا وأعود في المساء وأستريح يوم الأحد.. بدأت أتعرف على بعض الرّجال هنا وهناك، كنت أنام مع أحدهم أحيانا مقابل أجر، وعندما أدركت بأنّني قادرة على توفير مدخول أعلى من ذلك الذي تمنحني إيّاه الخدمة في المنازل، انقطعت عنها وبدأت أمارس البغاء... قبله كنت أعرف بأنّني لن أتزوّج، وإذا مما فعلت سيفضحني الزّوج ليلة الزّفاف لأنّني غير عذراء ".

الفصل الخامس

عـوامـل أخـرى

I ـ الأمية والفقر

لعلّ أحد الأعباء التي تثقل كاهل المجتمع المغربي في بداية الألفية الثالثة 2000، يتمثل في شيوع الأمّية بين صفوف أفراده بشكل مهول وخاصة ضمن النساء، حيث تصل نسبتها العامّة بينهن إلى 61,9% في سنة 1998.

تشكل الأمّية أيضا أحد العوائق الرّئيسيّة التي تحول دون اندماج النساء في التنميّة بشكل فعّال ومن مواقع تسهم فعلا في الرفع من مستوى وعيهن بذاتهن، وكذلك مستوى مساهمتهنّ في شتّى المجالات، وخاصّة منها الاقتصادية ثمّ السيّاسيّة.

ظاهرة الأمّيّة تنعكس بوضوح على مساهمة النّساء في المجال الاقتصادي، فضلا عن غيابهنّ شبه الكامل عن المشاركة السياسية خارج دائرة التصويت في الانتخابات، ممّا يسم هذه المشاركة بالموسميّة التي يتلوها الإبعاد والابتعاد.

تشتغل أغلب النّساء المغربيّات في القطاع الصّناعي الذي لا يتطلب تأهيلا غالب الأحيان (الصناعات الغذائية)، أو يستفيد من خبراتهنّ المكتسبة سابقا (صناعة النّسيج). أمّا النّساء القرويّات اللائي

اقتحمن سوق العمل المأجور، فيعملن مياومات ويقاسين من عناء العمل الموسمي غير القارّ والذي غالبا ما يكون بعيدا عن مقرّ إقامتهنّ. ويظل العامل المشترك بين اليد العاملة النّسوية هو التّعرض للاستغلال بشتى أشكاله حيث أن الأجور زهيدة وظروف العمل قاسية، تذكّر بتلك التي عانت منها النّساء العاملات في أوروبا، خلال ما عرف بمرحلة الرّأسمالية الوحشية في نهاية القرن التّاسع عشر.

إذا استثنينا اليد العاملة، نجد أنّ أغلب النّساء يعملن في قطاع الخدمات وبالأساس في الخدمة المنزلية، حيث يعشن وضعا مفارقا إذا أنّه لا يوفّر لهن العناية التي توفرها لهنّ الأسرة الأبويّة الأصلية، رغم كونهن يعشن في كنف أسرة أخرى، كما أنّهن لا يمتلكن وضع المرأة العاملة التي تؤدي عملا مستقلا عن البيت وتحصل على أجر معيّن.

توجّه الأغلبية من النّساء إلى هذه القطاعات وإلى مختلف المهن الهامشية الأخرى، يجد تفسيره أساسا في عاملين رئيسيين هما الأميّة والفقر.

قد تمتلك أغلب النّساء الأميّات والفقيرات الحصانة الذاتية التي تبعدهن عن الإنحراف وخاصّة بالنّسبة للشابّات منهنّ، إلا أن هناك نساء أخريات سقطن في شرك البغاء كمجال قد يوفّر لهنّ مدخولا أعلى من المدخول الذي يوفّره لهنّ عمل هامشي، بما أنّهن أميّات ومنتميات إلى الفئات الفقيرة.

إذا ما ألقينا نظرة على فئات من النّساء الشابّات اللائى يمارسن البغاء في بعض الأماكن من المدن الكبرى، لا نتخيل نسبة الأمية بين

صفوفهنّ، إذا أنّ شكلهنّ قد يوحي بالعكس. ولكنّ الحقيقة هي أن أغلبهنّ لم يدخلن المدارس أو انقطعن عن الدّراسة في سنّ مبكّر جدّا.

ليست الأمية مجرّد جهل بالقراءة والكتابة، ولكن تبعاتها تتمثل أساسا في جهل الإنسان بالقيم النبيلة التي ترسّخها فيه المعرفة، حيث يظل بدونها قاصرا عن فهم ذاته والعالم المحيط به. وإذا كان من شيء يوفره التعليم للفرد وللمرأة على الأخصّ فهو استشعارها لكرامتها كإنسان، ورفضها لكلّ سلوك قد يمسّ من هذه الكرامة ويمتهنها، هذا فضلا عن الآفاق التي يفتحها في وجهها وخاصّة بالنسبة لحياتها العملية.

تحكي "ن" (30 سنة) : "أغلب" البنات أميّات لم يدخلن المدرسة قطّ ممّا يخلق لهنّ مشكلا دائما، أحيانا تكونين في فندق كبير فتصادفين في أحد الممرّات فتاة تائهة تبحث عن رقم غرفة، تطلب من أحدهم أن يدلّها عليها لأنّها لا تقرأ.. صدّقيني ! كثيرات ممّن يحملن الهاتف النّقّال أميّات، وهنّ يحملنه لكي يتلقّين المكالمات من زبنائهن، ولا يعرفن كيف يركّبن رقما دون مساعدة.. إنّني واحدة منهنّ، ولدت في قرية بعيدة، أخي دخل المدرسة، أمّا أنا فقد رفض أبي أن يبعث بي إليها.. لماذا أمارس البغاء؟ هل عندك عمل آخر مربح ؟ إذا ما بحثت عن عمل أوّل ما يسألونك عنه هو مستواك الدّراسي، وقد حدث لي ذلك مع بعض الذين صادفتهم ممّن يملكون المحلاّت أو الشركات. إنّهم يعجبون بي وبحديثي ("ن" ذكية جدّا)، وحين نفترق يناولونني بطاقتهم الشخصية، ويطلبون منّي أن أتصل بهم إذا ماشئت الخروج من هذا العالم والبحث عن عمل.. ولكن " الله غالب!" ... هل أفكر في تعلّم القراءة والكتابة ؟ أحيانا أفكر في ذلك ولكنّني لا

أملك الوقت، أسهر كل ليلة حتى الصباح، وأظل نائمة طيلة النّهار لأستيقظ وآكل وأغتسل وأذهب عند الحلاّق، قبل أن أقصد أحد الملاهي أو الفنادق.. بعض "البنات" أخذن دروسا في محو الأمية وتعلّمن، بل إنّ بعضهنّ يتعلّمن الإنجليزية حتّى يستطعن التحدّث بها مع زبنائهنّ الذين يتكلمونها".

إذا كانت الأميّة تشكل عائقا رئيسيّا أمام اندماج النّساء في التّنمية، وإذا كانت أحيانا تدفع ببعضهن في ظروف نوعية إلى امتهان البغاء، فإنّ مضاعفاتها السلبية عليهن تتفاقم إذا كن منتميات إلى الفئات الاجتماعية الفقيرة.

في مجتمع استهلاكي تحتدّ فيه الفوارق الطبقية بشكل مهول، توجد ملايين الأسر التي لا تكاد تضمن قوتها اليومي، وإذا كان الدّخل الفردي في المغرب من أدنى المستويات في العالم الثالث راهنا، فإن ذلك سينعكس حتما على الأفراد المنتمين إلى الفئات الدّنيا، وخاصّة منهم النّساء اللائى تقفل في وجوههنّ كل الأبواب، وتضطرهنّ الظروف إلى بيع أجسادهن.

منذ سنوات وقفت فتاة صغيرة ضبطت في قضية أخلاقية بإحدى المحاكم، وأمام انبهار الجميع وتعاطفهم، لخّصت وضعها والأسباب التي أدّت بها إلى أن تعيشه : "لم أكن أعرف هذا الطريق أو أرغب فيه، كنت تلميذة بالثانوي، ألبس المريلة كل يوم وأذهب إلى قاعة الدّرس، ذات يوم توفي أبي في حادثة سير، دهسته حافلة فأردته قتيلا، كان أبي يشتغل سائقا في إحدى الشركات وكنّا مستورين. بعد وفاته لم يعد لنا دخل، واضطرّت أمّي إلى أن تشتغل في البيوت، مرّت سنتان فأقام علينا صاحب البيت دعوى وحكم علينا بالإفراغ، اضطررنا إلى كراء

حانوت وسكنّا فيه، لم نكن نجد ما نأكله أنا وإخوتي، ومدخول أمّي كان هزيلا جدّا رغم ما تتحمّله من مشاق، حيث تغادرنا في الصّباح الباكر ولا تعود إلا في المساء منهكة، كانت أحيانا تنام دون أن تزيل جلبالها.. كنت الكبرى في البيت، بحثت عن عمل دون جدوى، وذات يوم عرضت عليّ بنت أن أخرج معها.. هكذا بدأت، وأنا الآن أعيل أسرتي حيث تمكنا من اكتراء بيت كباقي النّاس".

وراء أغلب النّساء اللائى يمارسن البغاء حكاية مماثلة، إذ تنسدّ أمامهنّ الآفاق ويجدن أنفسهن مجرّدات من كلّ المؤهلاّت التي تمكنهن من الأعمال التي تحفظ كرامتهنّ وتوفرلهنّ مدخولا محترما.

ومن خلال الأحاديث مع بعض النّساء يتبيّن أنهن خضن تجربة بعض المهن الهامشية، ولم يستطعن تحمّلها وخاصّة منها الخدمة المنزلية.

تقول "ن" (29 سنة) : "جرّبت أعمالا كثيرة ولكنّني لم أستطع تحمّلها. عملت في البداية خادمة لدى أسرة غنية تسكن فيللا كبيرة جدّا، كانت هناك امرأة تأتي كلّ يوم لكي تساعدني في الأشغال المنزلية، ذات يوم انقطعت عن المجيء ولم يبحثوا عن أخرى لتعوّضها.. كنت أعمل من الفجر حتّى منتصف الليل، تصوّري ! الدّار كبيرة جدّا، تلزمك الساعات لمسح الزجاج، بها أربع حمّامات وصالونات شاسعة.. أصبت بالإنهاك، طلبت منهم أن يأتوا بأخرى تساعدني فرفضوا وقالوا لي بأنّنا نوفر لك الأكل والشرب والمبيت ونعطيك أجرا.. في مثل هذه الأعمال تفقدين حريتك كإنسان. بعدها جربت الخدمة في المعامل، ولكنّ مشكل السّكن ظل مطروحا، جربت السكنى مع أربع عاملات في غرفة بأحد السّطوح، لم أتفاهم معهنّ ولم أستطع تحمّل تلك الحياة".

ليس الفقر وحده مبرّرا لهذا التوجّه، بل إنّ ما يزكيه هو غياب الحصانة الأخلاقية التي ترسّخ في الإنسان قيم المقاومة ومواجهة الصعاب، دون السّقوط في براثن الانحراف بشتّى أشكاله.

تنتقل القيم الأخلاقية إلى الأجيال عبر التنشئة، وكذا عبر السلوك السائد داخل الأسرة أو في المجتمع بشكل عام. وحين يسود اختراق هذه القيم إلى حدّ يغدو معه انحراف كالبغاء، ظاهرة من الظواهر الإجتماعية الخطيرة المترتبات على الواقع وآفاقه المستقبلية في بلد ما، فذلك يعني أنّ الشروخ الإجتماعية والاقتصادية بالأساس، قد زعزعت بعمق كل الأفكار والقيم التي تنبني عليها التنشئة السليمة، التي تجنب الفرد رجلا كان أم امرأة البحث عن الحلول اللا أخلاقية والسّهلة.

ليس البغاء هو الحلّ الممكن والوحيد أمام المرأة الأمية والفقيرة، إذ أنّ هناك ملايين من النّساء المغربيات الفقيرات يناضلن يوميّا من أجل الحصول على لقمة لعيش.

يشكل البغاء حلاّ سهلا يدرّ مدخولا في أعين اللواتي يبحثن عن الحلول السهلة غالب الأحيان، وينجذبن وراء مغربيات عالمه، ولا يجدن منه فكاكا لأنّه يأسرهنّ في دائرة مغلقة لا مخرج منها، بما أنهنّ غير مؤهلات لكي يوفّرن لأنفسهن ولأطفالهنّ أو لأسرهنّ الإمكانيات التي يحصلن عليها ، أو نمط العيش والاستهلاك الذي تعوّدن عليه.

من هنا قد نصل إلى أنّ اختيار البغاء كنمط عيش وسلوك ومهنة، يدلّ على غياب الوعي الذاتي لدى المرأة الذي يخوّلها القدرة على مواجهة كل المغريات التي تمتهن كرامتها، وتلعب الأميّة دورا كبيرا في

غياب هذا الوعي وانعدام الحافز الأخلاقي، حيث تغيب القدرة على مواجهة المشاكل السويسيو اقتصادية لدى بعض نساء الفئات الفقيرة، بفعل وطأتها في مجتمع استهلاكي يسحق الأفراد الذين لا يتوفّرون على إمكانيات ماديّة لتلبية حاجاتهم الأساسية.

من المؤكّد أن شيوع ظاهرة البغاء وخاصّة في المدن الكبرى التي تستقطب آلاف الفتيات من المدن الصغرى والمناطق القروية على السواء، يعدّ من أكثر المترتّبات السّلبيّة الناجمة عن الاختيارات التي انتهجت على شتى المستويات خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي، وعلى رأسها الاختيارات الفاشلة التي سادت في المجال التربوي، حيث لم تول لمسألة تعميم التّعليم في مراحله الأولى عناية، وفصلت القسم وموادّه عن سوق الشّغل وحاجياته، وأهملت توجيه المتعلّمات والمتعلّمين إلى تكوين يساعدهم على الإندماج في هذه السوق.

II ـ التّساهل الاجتماعي

يشكل البغاء أحد أشكال الإنحراف إلى جانب أصناف أخرى منه، حيث يتطلع الكثيرون إلى كسب المال بأيّة وسيلة بصرف النظر عن مشروعيتها أم لا. يزكّي التساهل الاجتماعي هذا الانحراف بشكل ضمني، بما أنّ وصول الفرد رجلا كان أم امرأة إلى المال، وتوفّره على الثروة يكسبه مكانة لا ينازعه فيها أحد.

تقول "س" (36 سنة) : "لقد كبرت ولم أجمع ريالا واحدا، كلّ ما أحصل عليه أصرفه على الكراء والأكل والثياب والحلاّق والماكياج.. ربحت كثيرا عندما كنت صغيرة، أكثر ممّا تتصوّرين، كنت في ليلة واحدة أحصل على أكثر من 5000 درهم..متى كان ذلك؟ عندما كان

عـرب النفط يقـدمـون بكثـرة، قـد لا تصـدقين بأنني مـرة قـضـيت مع أحـدهم ثلاثـة أيام كـان يعطيني خـلالهـا 10.000 درهم عـن اللـيلـة الواحـدة، عندمـا عـدت إلى البيـت وفتـحت حـقيبـتي خـافت أخـتي وسألتني إن كنت سـرقت كل ذلك المال... ولكنني كنت حمـقاء، إنما الحـقيـقـة أنني لا أقرأ ولا أكتب ولا أعـرف مـا أفعـل.، .. غيـري كنّ يجـمعن الأمـوال، وقد عـفا الله عنـهن، بنين البيـوت وأقمن المشـاريع، وهنّ الآن يحظين باحترام الجميع. في هذه البلاد إذا لم تكن تتوفّر على الفلوس لا أحد يأبه لك أو يهتم بك. حين كنت أربح كـثيرا كان الكل يخـدمني لأنني كـريمة جـدّا.. الجـيـران والجـزار وبائع الخـضـر، كـانوا يفرحـون عندما أبتاع منهم شيئا لأنني أشتري كـثيرا وأمدّ إليـهم الثمن الذي يقولون دون نقـاش.. أما الجارات فكنّ يعرضن عليّ خـدماتهنّ.. أمـا الآن فقـد تغيّر الأمـر، وما أحـصل عليـه لا يكاد يكفيني.. لم أعـد أتصدق على أحد... "الله غالب".

1 ـ تواطؤ الأسرة

هذا الوضع الاجـتـمـاعي الذي ذكـرنا بعض مظـاهره الدالة على الانحـراف في سبـيل اكتـساب المال، بتـعزز بتـواطؤ ضمني علـى عدة مسـتويات، تبدأ من الأسرة التي تصـمت وتستفـيد من المال الذي يدرّه البغاء على إحدى بناتها، لتمـتدّ إلى الأطراف الأخرى التي تستغل المرأة التي تمارس البغاء بصيغة أو بأخرى.

لعل تواطـؤ الأسـر من أبلـغ المؤشّرات على انهـيـار القـيم بفـعل الأوضاع السوسيـو اقتصادية المتردية. هناك فئة كـبيرة من النساء اللائي يمارسن البغاء وخـاصة الشابات منهن يعلن أسرهن الأبـوية، ويوفرن لها أحيانا مـستوى من العيش ماكانت لتـحلم به بدون المال اللائي يصرفنه

عليها. في هذه الحالة يغدو الوضع السائد في الأسر غريبا عن المعتاد، إذ تسود فيها علاقات نفعية تضرب بكل القيم الأخلاقية الإنسانية عرض الحائط.

تلاقي الفتاة تشجيعا من الأم أو من الوالدين معا اللذين يعتبرانها كنزا لا ينضب، يقول أحد سائقي سيارات الأجرة : "هناك أباء يأتون بيناتهم إلى محطة سيارات الأجرة ويوصون بهنّ السائق لكي يوصلنهنّ حيث يقصدن". وتحكي تلميذة عن صديقتها التي تدرس معها في القسم : "إنها تخرج ليلا، وحين تعود تعطي المال الذي حصلت عليه لأمها، وإذا لم تحصل على شيء فإنها تقيم عليها الدنيا ولا تدعها تنام".

هذا التواطؤ الضمني الذي يعدّ مؤشرا على انهيار القيم داخل مؤسسة الأسرة عامل من العوامل التي تشجع البنت على الإنحراف، لأن الأسرة تتخلّى بشكل كامل عن دورها كرادع أخلاقي، وموجه نحو اعتناق مبادئ السلوك السليم.

يمتد التواطؤ داخل الأسرة إلى الإخوة الذكور بصفة خاصة، حيث تعاني أغلبيتهم من البطالة، ويجدون تعويضهم في مدخول الأخت مقابل الصمت، وقد يذهب ببعضهم الأمر إلى مصاحبتها إلى أماكن الدعارة وحمايتها مما قد تتعرض له من مخاطر.

تعترف "م" (28 سنة) : "هذا العالم" صعيب بزّاف" لأنك دائما معرّضة للخطر فيه... أي خطر ؟ إنها أخطار وليست خطرا واحدا... الزّبون الذي يرفض أن يؤدي لك الأجر.. السارق الدي يسرقك وقد يعتدي عليك... الشرطة.. أخي يحميني من هذه المخاطر لأنّه يصاحبني إلى الأمكنة وينتظرني.. هل يقبل بذلك ؟ وماذا عساه

يفعل ؟ إنّني أعطيه 100 درهم على الأقلّ يوميا... ماذا يريد أكثر من ذلك ؟"

في خضم هذا الوضع الشاذّ، نجد استثناءات قليلة تتمثل في بعض النّساء الشابات اللائي يمارسن البغاء بعد أن انقطعت صلتهن بالأسرة لأنهن يخفن من ردّ فعلها، ويعرفن رفضها للطريق الذي نهجنه. تقول "ل" (29 سنة) : "انقطعت صلتي بأسرتي منذ سنوات، إن أمي امرأة جبلية لا تفرّط في الأخلاق، وأخي كذلك، لوعدت لقتلت أمي نفسها أو قتلتني".

باستثناء هذه الحالات النادرة، تغمض الأسرة الأعين وتقبل بالمال دون أن تسأل البنت عن مصدره. يقول "محمد" (68 سنة) : "ياعباد الله ! إذا كانت البنت تتوفر على المال بدون أن تمارس عملا واضحا. فمن أين تأتي بذلك المال ؟ أليس من واجبنا كآباء أن نحرض عليها ونسألها ؟".

يبدو أنّ المنطق السائد لدى الأسر المتواطئة يخالف هذا الموقف، بل إن بعض الآباء ألفوا ما تقدّمه لهم البنت من أموال إلى حد أنهم لا يقبلون بانقطاعه عنهم، دون أن يولوا أي اهتمام للمخاطر التي تتهددها ومنها المرض. تقول "خ" (26 سنة) : "أصبت بمرض الزّهري، لم أعد أقدر على الوقوف والمشي لأن عضوي التناسلي انتفخ بشكل فظيع، اضطرني الطبيب لكي أعترف له، وحين علم بما أفعل حذّرني وأمرني بالانقطاع لأنّني مهددة بسرطان الرحم.. كنت أبعث إلى والدي قدرا يجاوز 5000 درهم شهريّا، وحين مرضت وانقطعت أصبح يتكبّد مشقة السفر ويأتي إليّ لكي يطالبني بالمال.. ليته كان "كيديرْ بهْ الطّايْلة"، لقد كان يصرفه على القمار ولم

يكـن يفـكـّر في أوفـي صـحـّتـي ولـم تكـن أمّي وإخـوتي الـصّغـار يستفيدون منه".

2 ـ التواطؤ العام

إذا كانت الأسرة تتخلّى عن مهامّهـا التّربوية في توجيه الفرد نحو القيم السليمة والسلوك المنبثق عنهـا، فإن التواطؤ يمتدّ إلى أطراف أخرى تساهم في تشـجيع البغـاء بشكل مباشـر أوغير مـباشر، لأنهـا تحقق من ورائه مصالح وأرباحا.

على رأس الأطراف المـتـواطئـة نجـد بعض السّاهريـن على الأمن الذين يقومون بالدّوريات الليلية.

من المفـروض أن يتـحـمّل هؤلاء مـسـؤوليـتـهـم في الردّع الأمني للانحـراف ممثـلا هنا في البـغـاء، ولكن الأحـاديث مـع النسـاء اللائي يمارسنه تثبت عكس ذلك، إذ أنّ الرشوة هي العملة السّائدة بينهنّ وبين رجال الشرطة المعنيين.

تقول "خ" (26 سنة) : " ضـبطتني الشـرطة ذات ليلة وأنا أخـرج وحيدة من أحد الملاهي، أركبوني سـيارة الأمن، كنت حينها محكومة بثلاثة أشهـر مع وقف التنفـيذ، وكنت أعـرف بأنّني لو حـوكمت مـرّة أخـرى لن أفـلت من السّجن.. ولذلك نـزعت سـوارا ذهـبـيـا من يدي وسلّمـتـه لأحـدهم فـأطلق سـراحـي... لقـد اشـتـريت السّوار بـ 4500 درهم.... ولكنّني أنا التي اشتريته وبإمكاني أن أعوّضه..."

قد يـصل هذا التواطؤ إلى حـدّ لا نتصـوّره، إذ يغدو دليـلا قاطعـا على الفـسـاد الذي ينخـر بعض الأجـهـزة الأمنيـة، التي تتـعـامل مع

المواطنات أو المواطنين في حالة اقتراف أحد منهم لجريمة يستحق عليها العقاب القانوني.

تقول "ل" (31 سنة) : "ذات يوم ضبطتني الشرطة، كنت خائفة ومذعورة، ولكنّني ما أن صعدت إلى السّيارة حتّى تمالكت نفسي، فتحت حقيبة يدي وعين رجل الشرطة عليّ، أخذت منها 200 درهم وسلّمتها إليه... تصوّري ! لقد تغير الموقف تماما، قالوا لي بأنّني أبدو بنت ناس ونصحوني بأن لا أخرج ليلا، والأدهى من ذلك أنهم اقتادوني في سيّارة الأمن حتّى باب العمارة التي أسكن فيها، هل تصدّقين ذلك ؟ (ضحك !!)"

حكايات النّساء البغايا مع بعض المكلّفين بالسّهر على الأمن لا تنتهي، كلّ منهنّ في جعبتها قصّة واقعيّة عاشتها.

تقول : "ن" (25 سنة) : "ذات يوم اقتادوني إلى الكوميسارية أنا ومجموعة كبيرة من الفتيات، وكوّنوا لنا ملفّات وقالوا بأنهم سيبعثون بنا إلى المحكمة، كنت أعرف رجلا غنيا له علاقات كثيرة، وقد ترك لي بطاقته وطلب منّي أن أتّصل به إذا احتجته. اختليت بأحدهم، منحته 300 درهم، قلت له : اشتري لي علبة سجائر واحتفظ بالباقي، وأعطيته رقم هاتف الرجل، وطلبت منه أن يخبره بأنّني في الكوميسارية... بعدها بحوالي ساعة أتى أحد رجال الأمن ونادى علي وخرجت طليقة".

يمتد التواطؤ ليشمل أطرافا أخرى تستفيد من عالم البغاء وتشكل البنية التي تحيط به وتتنامي وتتشعب من جرّائه.

يشكل بعض سائقي سيارات الأجرة الذين يعملون ليلا أحد الأطراف المكونة لهذه البنية، علاقتهم بالنّساء اللائي يمارسن البغاء

متعدّدة تتأرجح بين التوافق والعداء، إذا لم يحققوا الرّبح المنشود من وراء المرأة سواء كانت وحيدة أو مع زبون.

تتمثل أقصى درجات التّوافق بين سائق سيارة الأجرة والمرأة البغيّ، في كونه يحملها كل مساء إلى أماكن الدّعارة، وقد يعود إليها في وقت متّفق عليه مقابل أجر يفوق بكثير الأجر المعتاد الذي يعيّنه العدّاد. وهناك بعض سائقي سيارات الأجرة الذين يحملون الهاتف النّقال، ويتلقّون مكالمات من البنات اللائي يطلبن منهم الالتحاق بهن لنقلهن إلى حيث يشأن.

إذا لم يحصل هذا التراضي / التواطؤ، قد يتحوّل سائق السيارة إلى مخبر بطريقة أو بأخرى، بحيث يدُلّ الشرطة على الفتاة انتقاما منها لأنها لم تعطه الأجر المرتفع الذي يطلبه. تقول "ن" : ""تصعدين معه ليلا فيعرف من أنت ويحاول أن يتزّك بكل الطرق، يطلب منك 50 درهم في حين أن العدّار زائد ٪ 50 لا يتجاوز 15 درهم، وحين تحتجين يرفض حملك ، أو يحملك ويشغّل السينيال لكي يدلّ سيّارة الشرطة عليك، فتتبعك وتلقي عليك القبض"

ويبدو حسب الأحاديث مع هؤلاء النّساء أن هناك سائقي سيّارات أجرة لا يشتغلون إلا ليلا ويضمنون مدخولا لا يمكن تحقيقه خلال النّهار. تقوف "ن" التي تعرف أحدهم حقّ المعرفة : "إنه يكري سيارته لسائق آخر خلال النّهار ولا يتسلّمها إلاّ حوالي العاشرة مساء. وهو لا يشرع في العمل إلاّ حوالي منتصف الليل... ومدخوله اليومي قد يصل إلى 600 درهم أو أكثر...".

قليلات هنّ النساء البغايا اللائي يقبلن توريط أصحاب سائقي سيارات الأجرة في الحديث، على عكس موقفهنّ من رجال الشرطة

مثلا، حيث لا يتحرّجن في كشف قصص الإرتشاء وكذا التحرّش الجنسي بهنّ. ولعلّ السبب يعود إلى التوافق الضمني الذي يربطهنّ بأصحاب سيّارات الأجرة غالب الأحيان. بل إن بعضهنّ يعتبرن أنفسهن مدينات لهذا السّائق أو ذاك بإنقاذهنّ من براثن رجال الأمن. وهناك قصص يروينها تشبه تلك المطاردات التي تشاهد في الأفلام.

تحكي "ن" : "ذات يوم كنت أنا وصديقتي مع رجلين فرنسيين، تعشينا في أحد المطاعم، وعرضا علينا أن نذهب معهما إلى أحد الفنادق، أخذنا سيارة أجرة، وما إن نزلنا أمام الفندق حتى لمحت سيّارة الشرطة قادمة من بعيد، أخبرت صديقتي وهربنا وتركنا الزبونين.. أشرت إلى سيارة أجرة، صعدنا وقدّمت له 200 درهم، وقلت له بأنّ المهم هو أن تخلصنا من متابعة الشرطة التي كانت تطاردنا.. طمأنني وانطلق بسرعة جنونية ولم يستطيعوا ملاحقته عبر الدروب التي يعرفها حقّ المعرفة... وهكذا نجونا !".

ـ أماكن الدّعارة :

تختلف أماكن الدعارة في مستواها إذ أن البغاء عالم تسوده تراتبية صارمة كما سنتعرّض لذلك فيما بعد، وهذه التراتبية تنعكس على الأماكن التي يمارس فيها حيث تتراوح بين الفخامة والبساطة الشديدة، إن لم نقل بأن بعضها يجسّد الفقر المدْقع.

لكل مكان بغاياه وزبناؤه حسب مؤهلات المرأة التي تمتهن البغاء من جهة، وإمكانيات الزبون المادية من جهة أخرى. وفي مدينة كالدّار البيضاء تشكل بعض الفنادق الكبرى أو كارا حقيقية للبغاء، وكذا بعض المقاهي والملاهي الليلية، وينحدر مستوى المكان ليصل إلى

الفنادق الصغيرة التي تحمل سمات الفقر التي تطبع من يرتادها من الرجال والنساء على السواء.

إلى جانب بعض المؤسسات الفندقية على اختلاف عدد نجومها، توجد أوكار للدعارة مثبوتة في كل مكان، بعضها في الأحياء الراقية، وبعضها الآخر في الأحياء الشعبية أو أحيانا في مدن الصّفيح.

تقبل هذه الفنادق بممارسة البغاء فيها، أحيانا ما يكون الزبون السائح مقيما فيها، وهو مضطرّ في هذه الحالة أن يؤدي ثمن غرفة أخرى باسم الفتاة التي التقى بها، وغالبا ماتصعد الفتاة معه وتغادره بعد ساعات معدودة، وتسترجع بطاقتها من الفندق وتذهب لحال سبيلها. وإذا ما تابعنا هذه العملية، يمكن أن ندرك بسهولة الرّبح الذي يجنيه أصحاب هذه الفنادق حين يتغاضون عن البغاء، وبوفّرون لللواتي والذين يتعاطونه الحماية التي توفرها مؤسسة فندقية معترف بها.

لا تتحرّج الفتيات اللائي يمارسن البغاء مطلقا من الإشارة إلى هذا الفندق الكبير أو ذاك، بل إنهن يعتبرن هذه الفنادق مكانا آمنا أكثر من غيره

تقول "ن": إنني أفضّل أن أذهب مع سائح أجنبي لأنه غالبا ما يكون مقيما بأحد الفنادق الفخمة... هل أجد مشكلة ؟ لا ! الذين يعملون به يعرفونني، أعطيهم بطاقتي الوطنية، يؤدّي الزّبون ثمن غرفة باسمي ونصعدها معا... الفندق أفضل من أيّ مكان آخر، ونادرا ما يدخله البوليس، حتّى إذا شاؤوا إلقاء القبض على الفتيات فإنهم ينتظرونهن في الشارع بعد خروجهن من الفندق".

إذا كانت هذه الفنادق الكبرى التي تشكل طرفا رئيسيا في بنية البغاء، فإن هناك فنادق أخرى جدّ متواضعة، مثبوتة في الكثير من

الأحياء وسط المدينة على الأخصّ، إلاّ أنّ طريقة التعامل تختلف بما أن أصحابها يمارسون القوادة بشكل علني، حيث يسمحون للنساء البغايا باصطحاب الزبائن مقابل نسبة متفق عليها. تقول "ن" التي تتحدث عن هذا الصنف من البغايا باحتقار واضح : "تصوري ؟ إنهن يمارسن الجنس طيلة النهار وأحيانا خلال الليل أيضا... يأخذن من كل واحد 50 درهما، يعطين نصفها لصاحب الفندق مقابل الغرفة ويحتفظن بالنصف الآخر.. لست حمقاء حتى أفعل مثلهن، إنني أذهب إلى فندق كذا وكذا... آخذ قنينة بيرة وأنتظر من سيأتي.. أتفاهم معه على الثمن... كيف ذلك ؟ أنها عملية بيع وشراء، إنني أبيع دمي ولذلك لا أرضخ لأي ثمن كان، بل أشترط الثمن الذي أريد وهو حرّ في أن يقبل أو يرفض، ثم إنني آخذه مسبقا حتّى لا يقضي غرضه ويضحك عليّ، وهو يعلم أنّه ليس في مقدوري أن أتوجه إلى البوليس إذا ما سرقني.. بعد مانتفاهم يأخذ غرفة أحداهما باسمي والأخرى باسمه ونصعد معا...".

عدا الفنادق تتناسل أماكن الدعارة في كل مكان، دور كبرى أحيانا، شقق في العمارات الفخمة أو في الأحياء الشعبية.. تقول "ن" : "قدلا تصدقين إذا ما ذهبت بك إلى بعض الأمكنة وأريتك الدّور التي يمارس فيها البغاء... أنا نفسي لا أعرف الكثير منها لأنّني أحتاط كثيرا وأخشى مباغتات الشرطة. ذات يوم التقيت بأحدهم فطلب منّي أن أبحث عن فتاة لصديقه، سهرنا في أحد الملاهي، وعندما شئنا الذهاب إلى الفندق ادّعت صديقتي ـ التي كانت صغيرة السنّ جدّا ولا تملك بطاقة وطنية ـ بأنها نسيت بطاقة تعريفها، وعرضت علينا أن تدلّنا على إحدى الفيلات، لم أصدّق عيني وأنا أدخلها، إن الحيّ الذي توجد به

محترم جدّاً ولا يسكن فيه إلا أصحاب الفلوس، من يمرّ عليها لا يمكن أن يتصوّر ما يحدث فيها.... من استقبلنا فيها ؟ امرأة بالغة الأناقة، كانت الغرفة نظيفة جدّاً بل راقية، وكان لكل شيء ثمنه... الساعة بثمن والليلة بأكملها بثمن وهكذا...."

القسم الثاني

أطراف البغاء

- البغايا
- الزبناء
- الوسطاء



الفصل الأول

البغايا

تجمع العديد من الدّراسات الحديثة عن البغاء، على عدم وجود خصائص فزيولوجية معينة تميّز البغايا عن باقي النّساء. وأن هناك بالمقابل ظروفا قد تعيشها بعض النّساء، كتلك التي تعرّضنا إليها، فتؤدّي إلى انعدام التوازن العاطفي والنّفسي لديهنّ، الشيء الذي يدفع بهنّ إلى امتهان جسدهنّ، كردّفعل ضد معاناتهنّ في الواقع بفعل عوامل شتّى، مارست تأثيرها على طفولتهنّ أو فترة لاحقة من حياتهنّ.

المرأة التي تمارس البغاء هي أوّلا إنسانة مفتقدَة للحبّ بمعناه الواسع، الذي يخلق علاقة انسجام بين الإنسان وعالمه، سواء تعلّق الأمر بالعلاقة الأسرية أو العلاقة مع الجنس الآخر. ولعلّ العوامل التي حلّلناها في الفصول السابقة، تلقِي الضّوء على الظروف الذاتية والموضوعية، التي تطبع شخصية البغي بعمق وترسم مسارها.

غير أن ما يمكن ملاحظته، هو أن قساوة هذه الظروف وحدها، لا تكفي لكي تتجه المرأة إلى البغاء، وتختار عن طواعيّة السّير فيه. أغلب النّساء المستجوبات يؤكّدن بأنّهن ما فكّرن يوما في نهج هذا المسار، رغم قساوة الظروف التي عانين منها قبله. هناك دائما طرف مشجّع على ارتياد البغاء بالنّسبة لامرأة لا تعرفه، وهذا الطرف يتمثل بالنّسبة لكلّ النّساء اللائي شملهنّ هذا البحث، في امرأة أخرى تربطهنّ بها

علاقة معرفة أو صداقة تمارس البغاء قبلهنّ، فتشجّعهن عليه وتغريهنّ بالحصول على المال السّهل فيه، مقارنة مع أوضاعهنّ المزرية.

هذا الإغراء قد يشكل فعلا خطرا على المجتمع إذا ما ساد فيه الإنحراف، وانهارت فيه القيم بفعل سوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وانسداد الآفاق أمام الأفراد، وخاصّة منهم النّساء الشابات اللائي لا يملكن مؤهّلات، ولا يتوفّرن على الوعي الكافي لكي يستشعرن كرامتهنّ، ويمتلكن الحصانة الذاتية والأخلاقية التي تحميهن من السقوط في الانحراف، وبالتّالي لا توقعهنّ في شرك الإغراء الذي قد تمارسه عليهنّ بغيّ متمرّسة، تنتقم لنفسها بشكل واع أو غير واع عن طريق جلب المزيد من النّساء إلى عالمها.

يشكل المال الدافع الأساسي لممارسة البغاء، ولكنّ المال لا يشرع أبوابه في وجه اللاّئي يرتدنه، بل إنّ منهنّ من لا تحصل على ما يكفي لسدّ الرّمق، ومنهنّ أخريات يربحن من ورائه أموالا طائلة، توفّر لهنّ مستوى من العيش لم يكنّ ليحلمن به.

تراتبية البغاء تجعل منه عالما يضمّ فئات اجتماعية متفاوتة، ذات مداخيل تتراوح بين الأموال الباهضة والدراهم المعدودة. وهذه التراتبية تخضع هي ذاتها لمقاييس معينة، من أهمّها جمال الفتاة وصغر سنّها، وشخصيّتها، وقدرتها على التلاؤم مع الجوّ السّائد في ذلك العالم، وكل ذلك يحدّد المجال أو الموقع الجغرافي الذي تتحرّك فيه، ونوعية الزبائن الذين يقبلون عليه، وكذا إمكانياتهم المادّية.

تضع "س" (28 سنة) يدها على مفتاح التراتبية التي تخضع لها النّساء وزبائنهنّ في البغاء بتلقائية لافتة للانتباه : «كل واحدة منّا تصادف من يرغب فيها، إذا كانت جميلة وذكية، فستجد زبونا يتوفّر على مال ويصرف عليها بدون حساب، أمّا إذا كانت متوسّطة الجمال وأمّية بشكل كامل فستجد زبونا من مستواها وهكذا ... وهناك نساء مسكينات "الله يكون في العون" يذهبن مع أيّ كان، وقد يقبلن أحيانا بعشرة دراهم أو عشرين درهما ...".

شيوع الظاهرة وتزايد عدد اللائي يمارسنها لافت للانتباه، ولعلّ ما يمكن أن نلاحظه من خلال الأحاديث مع بعض النّساء البغايا، هو اقتناعهنّ الكامل بأنّ الانحراف يسود في كلّ مكان، وأنّه من المستحيل القضاء عليه أو الحدّ منه. قد تصل بعضهن إلى قدر من الوعي فتدرك بأن الآفاق مسدودة أمام البغايا، وتؤكّد بأنّهنّ يقلن ذلك لرجال الشرطة عندما يقبضون عليهنّ. ولكنّ التصور العامّ والسّائد لديهنّ، هو أن البغاء موجود في كل مكان، وأنّ جميع النّساء يمارسنه بشكل أو بآخر، تقول "س" : «كلّ يوم ترين وجوها جديدة ... في كل مكان تذهبين إليه، لو خرجت ليلا ورأيت الفنادق والملاهي والشاطئ، لأدركت بأنّ كل الفتيات يمارسن البغاء، ولا أعتقد أنّه بإمكان أحد أن يقضي عليه في يوم من الأيّام ... وإذا منعوه في بعض الأماكن، فستكون هناك أماكن أخرى ... على كلّ حال ... العديد من النّساء اللائي يعملن موظّفات يمارسن البغاء (؟) !».

نجد هذا الموقف أساسا لدى الفئة التي تحصل على مداخيل مرتفعة من البغاء، أعلى بكثير ممّا تحصل عليه امرأة تدخل ضمن فئة الأطر في سلك الوظيفة العمومية. وبصرف النظر عن الأبعاد المادّية لهذا الموقف،

يمكن أن نتبين من خلاله طبيعة التأثير الذي يمارسه البغاء على تصوّرات ومواقف من ترتاده، إذ أنّها تدخل عالما مغلقا يفصلها عن تجارب النّساء اللائي يعملن بنزاهة، وقد يعانين الكثير من أجل الحصول على لقمة العيش. وهذا التأثير يعكس جانبا من التدمير النّفسي الذي يصيب البغي، حيث تحرص على التأكيد وبشكل استفزازي أحيانا، بأنّ البغاء موجود في كل مكان، وأنّ كل النّساء يمارسنه بدون استثناء.

عكس هذا الموقف نجده عند الفئات الفقيرة من البغايا، حيث تنقل الأحاديث معهنّ مقدار احساسهنّ بالخجل، الذي يصل إلى حدّ استشعار عقدة ذنْب كثيرا ما تعبّر عن نفسها بعبارات مثل : "الله يعفو علينا أو يسامحنا" أو "كنحشم من الجيران بزّاف". وهذا الإحساس بالخجل والخروج على السّلوك الاجتماعي السّائد، غالبا ما يدفع بهن إلى احتراف البغاء في أماكن بعيدة عن بيوتهنّ، والاحتفاظ بالمظهر اللائق في الحي اللائي يسكنّه، على عكس التحدّي الذي يمكن أن نلمسه لدى البغايا اللائي يحقّقن مداخيل مرتفعة، تبدو آثارها المادّية ملموسة على مظهرهنّ ونمط عيشهن، حيث لا يبدو من حديثهنّ ــ الظاهري ــ أي نوع من المبالاة بالموقف الاجتماعي منهنّ، وإن كنّ يعانين منه بشكل أو بآخر كما سنعرض لذلك لاحقا.

مقابل موقف "ن" السابق التي تؤكّد بعصبية واضحة على أن كلّ النّساء يمارسن البغاء، نجد موقف "ر" (31 سنة) التي تحتلّ مرتبة متدنّية جدّا في تراتبية البغاء، ويمكن أن نقول بأنّها تمارس البغاء مرّتين أو ثلاثا في الأسبوع : « ... مدخولي كعاملة هزيل جدا ولا يكفيني للعيش ولذلك أخرج مرّتين أو أكثر في كل أسبوع ... كيف ذلك ؟ أذهب إلى أحد الشوارع حيث تكون العديد من النّساء مثلي واقفات هنا أو

هناك، وأنتظر أحدهم ونذهب معا إلى فندق صغير قريب، أحصل منه على 50 درهما، أعطي صاحب الفندق النصف، واحتفظ بالنصف الباقي لنفسي ... كم من مرّة في الليلة الواحدة ؟ "اللي جاب الله" ... ماذا أفعل بالفلوس ؟ أكمل ثمن الكراء لأنّني أسكن غرفة مع الجيران بـ 700 درهم للشهر، وأؤدي معهم ثمن الماء والكهرباء، وأشتري ما يلزمني ... من حين لآخر، أتمكن من شراء جلباب وحذاء حتّى أبدو بمظهر لائق. هل يعرف جيراني ذلك ؟ لا ! لا ! لو دروا بذلك لرحلت إلى مكان آخر ... إنّني أبتعد كثيرا عن البيت، وأحيانا أقول لهم بأنّني سأبيت عند أختي ... لو دروا بذلك لما جسرت على النظر في أعينهم ولأصبح أهل الدّرب يعيّرونني بالبغي...»

عالم البغاء أيضا تسوده المنافسة الشرسة بين اللائي يتعاطينه. تقول "خ" (27 سنة) :

«بدأت في سنّ الثامنة عشرة، كان مدخولي خياليّاً (سألتني عن مرتّبي !) ... تصوّري كنت أحصل على هذا القدر وأكثر منه في ليلة واحدة فحسب ... في إحدى المرّات قضيت بضعة أيام مع أحدهم من القادمين العرب، وليلة سفره أعطاني كلّ ما بقي معه من العملة المغربية زيادة عن أجري ... وكان الكلّ يصل إلى عشرات الآلاف من الدّراهم ... الآن ؟ لم أعد أوفّر ذلك المدخول ولا أحلم به ... البنات كثيرات وهنّ صغيرات وجميلات، ما إن يرينك مع أحدهم حتّى يختطفنه منك ... الزّبائن هم أوّل من يستفيد إذ أنّ كثرة البنات وتوفّرهنّ تدفع بهم إلى المساومة، وتجعلك تقبلين أثمنتهم مرغمة ... »

إذا كانت "خ" بنت السّابعة والعشرين، تحسّ نفسها متجاوزة بفعل سنّها المتقدّم، ما هو شعور النّساء اللائي تجاوزن الثلاثين بكثير ولم

ينقطعن بعد عن هذا العالم ؟ تقول "ع" (37 سنة) : «غدا هذا العالم اصعيب بزّاف»، أصبحت ترتاده فتيات صغيرات جدّا ... محصولي منه انخفض جدّا، بالكاد أصبحت أجمع 150 درهما كل ليلة، هذا إذا صادفت زبونا. أحيانا كثيرة أخرج وأخسر فلوس الطاكسي هباء، زيادة على مصاريف الحلاق والماكياج، وأعود خاوية الوفاض، وأنتظر الغد وما سيأتي به».

إذا كان المال هو الذي يحدّد نمط العلاقة بين المرأة / السلعة والرّجل/ الزبون، فما هي مترتبات هذه العلاقة على المرأة ؟ ما هو إحساسها حين تتلقّى المال مقابل استباحة الآخرين لجسدها ؟ ما هي نوعية العلاقة التي تربطها بالجسد المستباح ؟ وما هي نوعية العلاقة التي تربطها بالزبون ؟

علاقة المرأة بجسدها تخضع للتمثلات التي تغرسها الثقافة السّائدة فيها، ولعلّ جانبا كبيرا من هذه الثقافة في المجتمعات الأبويّة ينصبّ على تلقين الطفلة ثمّ الفتاة القيم والوسائل التي تترسّخ في لا وعيها منذ الصّغر، عن ضرورة الحفاظ على جسدها الذي يحيط به مفهوم الشرف، كقيمة أخلاقية واجتماعية تجسّدها البكارة وتداعياتها الفردية والجماعيّة.

حين تمارس المرأة البغاء يتعرّض جسدها للانتهاك، وتقتحم عالم المحرّم حسب القيم والأعراف الاجتماعية السّائدة، الشيء الذي يجعلها تستشعر الذنب وتعاني عذابا نفسيّا قد تنجح في إخفائه، ولكنّه يظل دفينا فيها.

لقد تعرّضت بعض الأبحاث بشأن البغاء إلى التدمير النّفسي الذي يتسبّب فيه لمن يمارسنه، بحيث أن مترتباته النفسية تلازمهنّ سنوات

طويلة بعد الانقطاع عنه في حالة تصميمهنّ على مغادرته. والأحاديث التي تمّ اعتمادها في هذا الكتاب تؤكّد صحّة ذلك، إذ أنّ أغلبية النّساء المستجوبات حمّلن كلامهنّ نعوتا ذات حمولة دينية للمال الذي يحصلن عليه، إنّه "فلوس الحرام" بالنسبة لهنّ، واللّواتي يدخلن في دائرة الاستهلاك اللامحدود ويصرفن كلّ ما يحصلن عليه من مال، يبرّرن ذلك بنفس التّبرير، وباللعنة التي تطاردهنّ حين يمارسن الحرام.

يترتب عن هذا الموقف النابع من استشعار الذنب لاختراق المحرّم، إحساس فظيع باحتقار الذات، تمّت معاينته لدى الكثيرات ممّن استجوبن، وهو إحساس ينبئ عن نفسه من خلال تصرّفات أو ردود أفعال كثيرة كشفتها الأحاديث. تقول "س" : «أوّل مرة خرجت فيها مع أحدهم، أعطاني 200 درهم، أتدرين ما فعلت ؟ أخذت ولاّعة وأشعلت فيها النار وتركتها تحترق في منفضة السّجائر ومكثت أنظر إليها هنيهة ثم استدرت وخرجت دون أن أودّعه ... بم أحسست ؟ لا أدري ! كنت غاضبة ومحتاجة إلى أن أصرخ بأنّني بعت نفسي لأوّل مرة في حياتي ... إنّه شعور فظيع لن أنساه طيلة الحياة».

يظل هذا الإحساس ملازما للمرأة حين تمارس البغاء، ذلك أن أغلب الأحاديث تنبئ عن هذا الرّفض الذي يتمّ التعبير عنه بطرق شتّى، قد تكون وسيلة للهروب دون مغادرة الميدان. تضيف "س" التي تتشنّج حين يتمّ التطرّق إلى هذا الجانب : «منذ أن بدأت وأنا لا أذهب مع أحدهم إلاّ بعد أن أشرب الخمر وأسكر، لا يمكن لي البتّة أن أنام مع أحدهم وأنا في كامل وعيي ... قبل أن أخرج من البيت كل مساء أشرب عدّة قنينات من البيرة، وإذا ذهبت إلى مكان وصادفت زبونا لا

أذهب معه إلا بعد أن أشرب أكثر من اللازم ... كيف يمكن أن تنامي مع شخص لا تعرفينه إذا كنت صاحية ؟» يؤدّي الإحساس بـ "س" إلى احتقار للذات يعكس التّدمير الذي يمارسه البغاء على من يرتدنه : «أحسّ نفسي "موسّخة" ، أكره نفسي ولا أحتمل النظر إلى وجهي في المرآة وخاصّة بعد ما استيقظ في نهاية النّهار ... إنّني لست كباقي عباد الله أو مثل سائر النساء، حيث أستيقظ ليلا وأنام طيلة النهار ... إنّها ليست حياة و"الله يعفو علْيّا منها"».

إضافة إلى هذه المترتبات النّفسية السّلبية في انعكاسها على الذات والأحاسيس، تتشكل بين المرأة التي تمارس البغاء وعالمها علاقة يشوبها الكثير من التعقيد، ويطبعها التوجّس من جانب والنفعية من الجانب الآخر.

قد يشيع بشكل أو بآخر في الأوساط الاجتماعية التي تربطها صلة بالنّساء اللائي يمارسن البغاء بأنهن مصدر مال لا ينضب، وخاصّة بالنّسبة للائي يحصلن منهنّ على مدخول مرتفع.وإذا كانت هناك بنية بكاملها تتناسل حول البغاء، فإن محورها الأساسيّ يتمثل في المرأة التي تبيع جسدها حيث يحقّق كل طرف مصلحته ويأخذ نصيبه من الصّفقة التي تتفق عليها مع الزّبون. يؤدّي هذا الواقع إلى علاقة نوعية ذات مستويات متعدّدة بين المرأة وعالمها.

تكاد كل الأحاديث تتعرّض للعلاقات الزّائفة التي تربط بين المرأة التي تمارس البغاء ومحيطها، هناك أشكال للتضامن تسود أحيانا بين النّساء فيه، ولكنّ المنافسة الشرسة بينهنّ تجعل مثل هذه العلاقات شبه

مستحيلة، وغير قابلة للاستمرار، أو للإعراب عن نفسها خارج عالم الليل ذي البريق الخادع.

تقول "س" التي أدركت خداع هذا العالم وآلياته من خلال تجربتها فيه :

«... في هذا العالم لا يمكنك أن تعتمد على أحد إلاّ نفسك، لا تشعرين بالحنان من أحد. الرّجل يشتريك بماله ويقضي معك لحظة ويذهب لحال سبيله، أسرتك ترى فيك مصدر مال لا ينضب ... والكلّ يعتقد بأن مدخولك لا يمكن أن ينقضي ... كنت أسكن في غرفة بأحد الفنادق ... تعرّفت على امرأة شابة تسكن وحدها بشقة صغيرة فدعتني لكي أسكن معها، اتفقنا بأن أعطيها 50 درهما عن كل ليلة إضافة إلى مصاريف الأكل والشرب ... كنت أصرف كثيرا وأجلب كلّ شيء إلى البيت ... ذات يوم مرضت فلم أعد أخرج لأنّني كنت مريضة فعلا وكنت بحاجة إلى الرّاحة... بعد أيام بدأت تلحّ عليّ في الخروج وتتّهمني بالكسل وعدم الرّغبة في الحصول على المال، وحين تأكّدت من أنّني فعلا لم أعد قادرة، استيقظت ذات صباح لأجدها تجمع حوائجي وطلبت منّي أن أذهب لحال سبيلى، واحتفظت بأغلى ما أملك من ألبسة كرهينة عندها حتّى أسدّد ما عليّ من كراء...»

هل تحبّ البغي ؟ وبعبارة أكثر مباشرة : هل بإمكان امرأة تبيع جسدها مقابل أجر أن تربط علاقة إنسانية سويّة خالية من حساب الرّبح والخسارة ؟

إذا كانت البغايا يتحدثن عن الجنس بحرية، ويصرّحن بحقيقة العلاقة الزّائفة والزّائلة التي تربطهنّ بهذا الرجل أو ذاك خلال لحظة ما،

فإن مـلامسة موضـوع الحبّ يجعل المتحـدّث إليهن، يدرك بأنّه يلامس مجالا محـرّما، يجدن صـعوبة في توضيح مـوقفهنّ تجـاهه، ويعانين من العذاب الدّاخلي بفعل افتقادهنّ للحبّ في العالم الذي يرتدنه.

تجمع معظم المواقف الصادرة عنـهنّ على عدم المجازفة بحبّ زبون حتّى ولو كان اعتـياديّا، لأنّ العلاقة محكوم عليهـا بالفشل منذ البداية، ولا مستقبل لها البتة. تقول "ن" : «كيف تحبّين شخصا تعرّفت عليه في ذلك العـالم ؟ لا يمكنك أن تحلمي بالمسـتـقبل مـعـه ... حتّى لو أحـبّك وتزوّجك فلن ينسى مـاضيك وسيـعيّرك به دائما وسـتظلين شقـية. هذا العالم ليس عالم حبّ، إنّه عالم المال والمتـعة خلال لحظة ... بعد أن ينام معك الرّجل يودّعك وكأنه لا يـعرفك ... ألا أومن بحبّ رجل واحد ؟ طبـعا أومـن بذلك لأنني بشـر ... كلّ امرأة تتـمنّى أن تجـد الرّجل الذي تحبّه ويحبها ...»

حين تطرّقنا إلى مـسألة الحبّ وحـاجة المرأة إليـه وإلى ربط عـلاقة إنسـانيـة سـوية بشخـص واحد، ظلـت "س" ساهمـة وصـمـتت لحظة لتجيب ببطء وكأنّها تنتزع كلـماتها من كوامن جدّ دفينة : « ... بما أنّنا تحـادثنا فـي كل شيء فلمـاذا لا نتـحـدث عن الحبّ ؟ هناك بـنات منا يربطن علاقـات حبّ عادية جدًّا مع أشخاص خـارج هذا العالم ... لي صديقة أتعجّب لكونها تربط علاقة حبّ حـقيقية مع شابّ موظف منذ سنوات، وهو لا يعـرف عنها شيئا، إنّه لا يعرف عـالم الليل، وهو "ولد دارهم" ويحبّهـا بصدق ... أنا ؟ هل أحبّ أحدا بهذه الطريقـة ؟ قصتّي غريبة فعلا، أحبّ شخـصا منذ سنتين "كنموت عليه"، ولكن المشكلة هي أنّني يائسـة تماما من هذا الحبّ، لماذا ؟ لأنني تعرّفت عليـه في هذا العالـم، ... هل كان أحد زبـائني ؟ نعم ! ذات يوم رآني في ملهى، ومن

يومها وهو يتبعني في كلّ مكان، في البداية لم أكن آبه له، كان يأتي إلى الملهى الذي أرتاده كلّ ليلة ويراني مع أحدهم ويجلس قبالتي، كنت أتهرّب منه وأنزع سمّاعة الهاتف حتّى لا يزعجني، ولكنّني بدأت أتعوّد عليه شيئا فشيئا إلى أن أحببته ولم أعد أستطيع الاستغناء عنه ... لماذا أحببته دون الآخرين ؟ لأنّني أحسّ بعطفه عليّ، في هذا العالم لا أحد يعطف عليك، الكلّ يقضي غرضه منك ويذهب، أمّا هو فكان عكسهم جميعا، وحين حملت بالصدفة خلال السنة الماضية ساعدني على التخلّص منه وتكلّف بالمصاريف كلّها ... هل كان الحمل منه ؟ لا أدري ولست متأكّدة من شيء ...»

داخل الجسد المستباح تكمن إنسانة تبحث عن الحنان الذي تفتقده في العالم الذي يقيّدها، وككلّ امرأة تهفو هذه الإنسانة إلى الحبّ، ولكنّ القساوة تلفّه من كلّ جانب، قساوة نابعة من طبيعة المحيط الذي ينع فيه، وعدم قدرة الطرفين معا على اختراقها أو مواجهتها. كيف يمكن لرجل أن يحبّ امرأة دون أن يفكّر في إنقاذها من ذلك العالم ؟ وهل بإمكانه أن يمتلك الجرأة على تخطي الأعراف الاجتماعية، ورواسب التنشئة الأبوية فيه ليربط مصيره بامرأة ذات ماض سيء ؟ تجربة "س" مع الشخص الذي تحبّه لها أكثر من دلالة بهذا الشأن : «إنني أعرف بأنّه يحبّني، وهو يحثني على مغادرة البغاء لأنّني لم أخلق له في نظره، ولكن لو غادرته هل سيتحمل مصاريفي ؟ لقد قدّمني إلى عائلته على أساس أنّني أمارس التجارة، ولكنّ الطّامة الكبرى وقعت عندما رآني ابن خالته في أحد الأمكنة، وأخبر الجميع بذلك، بعدها رفضت أمّه أن أدخل بيتها ... وهو الآن متردد وقد أصبحنا نتخاصم كثيرا بعد أن كنّا جدّ متفاهمين ... ذات يوم قال لي بأنّه لم يخلق لي ولا يمكن أن يكون لي في يوم ما ... حاولت أن أبتعد

عنه ولكنّني لا أستطيع ... صديقاتي ينصحنني بالابتعاد عنه وبجمع المال إذا أردت أن أجد رجلا يتزوّجني ... أمّا أنا فلا أستطيع فراقه، حاولت ولكنني فشلت، أعرف بأنّني لن أتزوجه ولكنّني أحبّه ... »

في هذا العالم القاسي الذي يخلو من الحبّ، أو يسم الحبّ - إذا ما وجد فيه - بطابع المعاناة النّاجمة عن اختراق المحرّم في الجانب الأكبر منها. في هذا العالم، تستشعر الإنسانة الكائنة داخل الجسد المستباح الرّغبة في التخلّص من ذاتها السّابقة، مجسّدة هنا في اسمها الحقيقي المسجّل في بطاقة التعريف.

لعلّ الدّلالة البالغة التي تعبّر عن الانفصام الذي تعاني منه البغي، هو أنّها في أغلب الأحيان تحمل اسما مستعارا تعرف به في وسط البغاء، بحيث تحيط اسمها الحقيقي بتكتّم شديد ولا تبوح به إلاّ لقلّة من صديقاتها. أمّا الزبائن فإنّها تخفي عنهم كلّ المعلومات المتعلّقة بحياتها وعائلتها أو اسمها. وقد يذهب بها الحرص على التكتّم إلى حدّ أنّها لا تحمل معها بطاقة تعريف عندما تخرج ليلا، مخافة أن تضبطها دورية من دوريات الأمن وتقبض عليها باسمها الحقيقي.

تقول "ن" :

«ذات مرّة قبضوا عليّ واقتادوني إلى الكوميسارية، سألوني عن اسمي فأعطيتهم الاسم الذي أعرف به هنا، واخترعت اسما عائليا، سألوني عن بطاقة التعريف فادّعيت بأنّني أضعتها ... لماذا ؟ هل تعرفين بأنّني لم أر أهلي منذ سبع سنوات ؟ ... لا أدري إن كانت أمّي حيّة أو ميّتة ... تصوّريها ذات يوم جالسة في دارها إذ يدقّ البوليس بابها

ويخبرها بأنّ ابنتها في السّجن من أجل البـغاء ...؟ ماذا ستفعل ؟... لا ! وهل أنا حمقاء ؟ لن أحمل معي بطاقة تعريف أبدا ! !»

الانفصال عن الاسم الحقـيقي هنا، يعني مدلولا يختلف عن ذلك الذي قد نجده في مجالات يجبر فيـها الإنسان على اتخاذ اسم مستعار لسبب من الأسبـاب، إنّه يجسّد قطيعة مع الحيـاة السّابقة، قد تصل إلى حدّ انفـصام الرّوابط بشكل نهائي مع العـائلة كما هو الشـأن في الحالة المذكورة.

رغم تغـييـر الاسم واستـحداث القطيـعة، يظل الجـسد المسـتبـاح يحمل شروخا لا يقدر تغيير هذا الاسم محوها أو تخليص الكائن منها.

الفصل الثاني

الـزبنـاء

يبدو من خلال الأحاديث مع البغايا أنّ هناك أنماطا متعدّدة من الزبناء، ينتمون إلى فئات سوسيو-اقتصادية متباينة. كما يتّضح بأن منهم زبناء اعتياديين، قد تلتقي بهم البغي بشكل منتظم، ومنهم الزبناء العابرون الذين قد تصادفهم هنا وهناك، وتعرف من خلال حديثهم أو سلوكهم بأنّهم غير معتادين على ممارسة الجنس مع البغايا.

دوافع إقبال الرّجل على البغايا معقّدة ومتعدّدة المستويات، وإذا كانت الأبحاث التي تخصّ المجتمعات الغربية، تركّز أساسا على العوامل النّفسية التي تتمثل في عدم النضج العاطفي، وعدم القدرة على ربط علاقات جنسيّة قارّة، أو الرّغبة في ممارسة الجنس خارج بيت الزّوجية، في إطار لا تترتّب عنه التزامات، ما دام الرجل يدفع مقابلا عن هذه الممارسة ولا يرتبط بالبغي، وأيضا الرّغبة في ممارسة الجنس بطرق شاذّة ... فإنّ هناك أسبابا أخرى قد تحذو بعدد من الرّجال في المجتمع المغربي الرّاهن إلى التّوجّه نحو البغايا لإشباع رغباتهم، والتّحرّر من الضغوط التي تمارسها الثقافة السائدة على الفرد بشأن موضوع الجنس الذي يعتبر محرّما، بحيث تنعكس مترتبات هذه الثقافة على الممارسة الجنسية الزّوجية في كثير من الأحيان، وتؤدّي بالزّوج إلى البحث عن تلبية رغباته في تحرّر من وطأة هذه الضغوط خارج فراش الزوجية.

كيف تنظر البغايا إلى زبائنهن ؟

تفرق "س" بين الزبون العادي والزّبون الكلاس ؟ :

«من هو الزبون الكلاس ؟ غالبا ما يكون مدير شركة أو بنك ... "شارب عقله". إنسان متعلّم يرتاد المحلاّت الرّاقية، يطلب منك أن تجلسي معه وتحادثينه، قد لا ينام معك، ولكنّه لا يبخل عليك بالمال لمجرّد أنّك جالسته ساعة أو ساعتين ... أمّا إذا ذهبت معه فهو لا يتحاسب ويعطيك أكثر ممّا تحلمين به. مع مثل هؤلاء لا أطالب بأجري مسبقا وأتجنّب الحديث عن ذلك لأنّه دون مستواهم، بل إنّهم يحتقرونك إذا تحاسبت وطلبت أجرا ...»

باستثناء الزبون "الكلاس" والذي يشكل أقلّية من ضمن مجموع زبائن البغاء، يسود الشك والريبة معظم العلاقات التي تربطها المرأة مع زبائنها، إذ أنّها غالبا ما تكون عرضة لاستغلالهم وجشعهم، وذلك ما تكشف عنه "س" بوضوح شديد، يدفع بها إلى اتخاذ تدابير الحيطة والحذر حتى لا تقع في شرك زبون يقضي وطره منها ولا يمنحها مقابلا : «إنّني لا أخجل من مناقشة أجري مع الزّبون، بعض الزبائن من الأوربيين يستعملون معك الحيلة، ولكنّها لا يمكنها أن تنطلي على واحدة مجرّبة مثلي ... كيف ذلك ؟ إنّك حينما تطلبين منه الأجر مسبقا يتصنّع الدهشة ويسألك : هل أنت بغيّ ؟ لم أكن أعتقد ذلك ! ... ولكنّني أجيبه وعيني في عينه : نعم ! وأفعل ذلك من أجل المال، ولذلك أطلب منك أن تعطيني أجري قبل أن أذهب معك ... مرّة ذهبت مع شابّ مغربي أعرفه، بعد العشاء والملهى ذهبت معه إلى بيته، نمنا، وفي الصّباح استيقظت متأخرة ولم أجده، وجدت صديقه الذي

يسكن معه، سألته فأجابني بأنّه ذهب إلى عمله ... تصوري ! لم يترك لي مليّما واحدا. كنت أحمل في محفظتي اليدويّة بطاقة زيارة له، أخرجتها وعرفت بأنّه يعمل في أحد المحلاّت لكراء السيّارات، لحقت به، رآني فاضطرب، طلبت منه الأجر الذي اتفقنا عليه، قال لي بأنّه لا يملكه، قلت بأنّني لن أتزحزح حتى آخذ حقّي وإلاّ فضحته. طلب منّي الانتظار، أخذت كرسيّا وجلست وأشعلت سيجارة ... بعدها أتى أحد السّوّاح العرب الرّاغبين في كراء سيّارة، أدّى له الثمن، وما إن خرج حتى ناولني أجري فانصرفت».

يحمل الجسد المستباح في كوامنه أحاسيس إنسانية مضطربة تسود الرّيبة علاقتها بعالمها، فضلا عن الخوف والرّعب الدّائمين، إذ أنّ الذهاب ليلا إلى أماكن الدّعارة – أيّا كانت - يعادل اقتحاما لمجهول لا تُدْرى عواقبه.

إضافة إلى التّهديد الذي تشكله دوريات الأمن واقتحامها أحيانا لأماكن البغاء خلال بعض الحملات - التطهيرية -، هناك التّهديد الدّائم الذي يتمثل في الالتقاء بالزبناء السّاديين، أو الذين يعتدون على المرأة التي تمارس البغاء ويغتصبونها، وهم يدركون بأنّها عاجزة عن التبليغ عنهم بما أنّها تمارس فعلا يعاقب عليه القانون. وأيّا كانت درجة الحيطة التي تتسلح بها المرأة، فإنّها أحيانا تقع في الشرك وتتعرّض لأبشع أنواع الابتزاز والاستغلال الجنسي.

إذا كان من ملاحظة يمكن لمسها من خلال أحاديثهنّ عن معاناتهنّ هذه، فإنّهن يتحدّثن بإسهاب عن حكايات الاعتداءات التي يتعرّضن لها، وغالبا ما ينسبنها إلى صديقة. إلاّ أن التفاصيل الدقيقة التي تتخلّل الحديث، تؤدّي إلى الاعتقاد بأنّهنّ يعرفن عن التجربة المحكي عنها الكثير، وأنّهن عايشنها ويخجلن من التصريح بذلك.

تقول "س" : « ... لست حمقاء لكي أذهب مع شابّ من هؤلاء الشبّان الذين يأتون إلى الملاهي لاصطياد الفتيات وسرقتهنّ ... إنّني أراقب الزّبون جيّدا لكي أعرف ما إذا كان يملك فلوسا أم لا. هناك من يقبل بثمنك ويعطيك إيّاه، ولكنّه عندما يقضي حاجته منك ينتزعه منك ويسرق كل ما معك ... صديقتي "هـ" وقع لها مشكل كادت أن تفقد فيه حياتها، لقد التقت مع أحدهم، وبعد أن شربا طلب منها أن تصحبه إلى بيت يملكه على الشاطئ، خارج المدينة، طلبت منه 500 درهم فأعطاها لها دون نقاش. ذهبت معه وحين وصلت إلى البيت وجدت به ثلاثة من أصدقائه ... نزع عنها ملابسها بعنف واستعاد ما أعطاها وأخذ منها كل ما تملكه واغتصبها هو وأصدقاؤه ورمى بها خارجا ... كان الليل مخيّما والضباب سائدا، بحيث لم تتمكن من الرؤية، بصعوبة شديدة وصلت إلى الطريق الرّئيسية، ظلّت طويلا تنتظر إلى أن رأت سيّارة قادمة فأشارت إليها، وقف لها الرّجل، كانت ترتعد وتبكي ...حين سألها حكت له الواقعة، لن تتخيّلي ماذا فعل بها ؟ لقد أوقف سيّارته بمكان مهجور وطلب منها أن تمارس معه الجنس كما فعلت مع الآخرين إذا شاءت أن يحملها إلى المدينة ...»

ضمن زبناء البغاء هناك أيضا الأصناف التي يمكن أن نصفها بالخطيرة، ويتعلّق الأمر بأناس لهم سوابق إجرامية أو بائعي المخدّرات أو المطاردين قانونيا لأسباب أو لأخرى. ويتّسم هؤلاء بكونهم يتوفّرون على المال ويغدقون بسخاء على البغايا، ولكن معظمهن يتحاشين الذهاب مع مثل هذه الأنماط مخافة التّورّط معها.

تقول "ن" : «ذات يوم ذهبت وصديقتي مع زبونين، حين طلبت منه أجري مسبقا أخرج من جيبه حزمة من الأوراق النقدية، وقال لي

بأنّه سيعطيني أكثر ممّا طلبت. ركبنا معهما السيّارة وتوجّهنا إلى بيته، ونحن في الطريق، أخرج من جوربه قطعة حشيش كبيرة، حين رأيتها تجمّدت من الرعب، وتبادلنا النظرات أنا وصديقتي، وكلّ منّا تطلب في سرّها أن تمرّ الليلة بخير معهم ... تصوّري ! لو ضبطنا البوليس لغرقنا فيها وحكموا علينا بالسجن سنوات».

مثل هذه المخاطر المفاجئة التي يتسبّب فيها الزّبائن غير نادرة في ذلك الوسط، ولعلّ حكاية "س" قريبة من تلك التي نشاهدها في الأفلام : «كنت أعرف شابا وسيما جدّا كأنّه ممثل أجنبي، عيناه زرقاوان وشعره أشقر، يرتدي لباسا فاخرا، كان يأتي أحيانا كثيرةإلى الملهى، وما إن نجلس حتّى يطلب منّي أن نغادر المكان، كانت له سيارة فارهة، كنّا نتجوّل فيها طيلة الليل ونشرب ونتحدّث، وكان لا يسكر أبدا ... حين كنت أسأله عن مقرّ سكناه يجيبني بأنّني أقيم في كل مكان وليس لي مكان محدّد. ذات يوم ونحن خارجان من الملهى توقّفت سيّارة الشرطة، نزل الشرطي وتوجه نحونا، تصنّع الشّاب بأنّه يقصده واستدار وهرب بسرعة الرّيح، يساعده على ذلك الحذاء الرّياضي الذي كان ينتعله دائما. قبضوا عليّ، وعندما صعدت لحسن حظّي أن الشرطي أخبرني بأنه دخل السّجن خمس مرّات، وأنهم يبحثون عنه منذ مدّة وأنّه يتاجر في المخدّرات ... حين سألني عن علاقتي به أنكرت معرفته وقلت لهم بأنّنا تعارفنا في الملهى، وكنا بصدد الذّهاب إلى مكان آخر ... منحت الشرطي 200 درهم وأنا أحمد الله في سرّي ... حينها فهمت لماذا كان يقضي الليل متجوّلا في سيّارته، ولماذا كان يحرص على أن يبقى في كامل وعيه ... والله لو رأيته لقلت بأنّه من أبناء العائلات الكبرى !».

حين يتحوّل الزّبون إلى مشجّع على انتشار البغاء بطريقة مباشرة تتجاوز الأجر الذي يؤدّيه للبغي التي يمارس معها الجنس، وحين يتصيّد فريسة ضمن فئة من النّساء، أو بالأحرى الفتيات الصغيرات اللواتي يتابعن دراستهنّ ولا تربطهنّ أية علاقة بهذا المجال، يغدو سلوك هذا الزبون من أخطر الإغراءات التي تهدّد هؤلاء الفتيات وترمي بهنّ إلى شباك البغاء.

يتعلّق الأمر أساسا برجال متقدّمين في السّن، لم يحقّقوا القدر من الإشباع الجنسي والنضج العاطفي، الذي يبعدهم عن هذا النوع من الانحراف البشع المتمثل في إقبالهم على فتيات صغيرات، قد يكنّ أصغر بكثير من أولادهم.

قد نصادف أحيانا هذا النمط من الزبائن ـــ المرضى ـــ أمام المؤسّسات الثانوية التي ترتادها الفتيات أو المؤسسات العليا، يمتطون سيّارات فارهة ويتصيّدون التلميذات أو الطالبات لإفراغ عقدهم الجنسية والعاطفية. تقول إحدى التلميذات : «هناك رجال يأتون بسيّاراتهم إلى باب الثانوية كلّ مساء، قد يعلق أحدهم على زجاجها ورقة 200 درهم كثمن لكلّ من تذهب معه، وأحيانا تمتلئ السّيارة عن آخرها بالبنات».

تأثير هذا النوع من الرّجال الشاذين ليس بالهيّن ويشكل خطرا على الفتيات ومستقبلهن، وبعض النّساء اللواتي يمارسن التّدريس انتبهن إلى هذا الخطر، وعاينّ نتائجه على بعض تلميذاتهن. تحكي أستاذة تدرّس بإحدى الإعداديات حيث متوسّط العمر يتراوح بين 12 و 16 سنة : «كانت لدي تلميذة نجيبة جدّا، من ذلك النوع الذي تربطك به

علاقة خاصّة نظرا لأخلاقه وذكائه، لاحظت بأنّها لم تعد تشارك في القسم ولم تعد تهتمّ بالدّروس، ذات يوم تغيبت عن الحضور. ناديت تلميذة كنت أعرف بأنّها أقرب الصّديقات إليها، اختليت بها جانبا وسألتها عنها، تردّدت في البداية ولكنّني طمأنتها بأنّني لن أخبر أحدا بما ستقوله لي. حينها صرّحت لي بأنّ التلميذة المعنية غدت تخرج مع فلانة التي تدرس في قسم آخر، وتذهب مع رجال مسنّين يأتون إلى باب الثانوية بسياراتهم. وقفت مشدوهة وتوقّف تفكيري في تلك اللحظة. سألت نفسي : هل أخبر الإدارة ؟ ولكنّني فكّرت في العواقب عليها وعلى أسرتها، راجعت البطاقة التي كلفتها بملئها في بداية السّنة، فوجئت بأنّ والديها إطاران من الأطر العليا ... كيف حصل ذلك ؟

قرّرت أن أستدعي أمّها بدون علم الإدارة، شرحت لها الأمر، صدقيني ! كنت أجد كلماتي بصعوبة، حين علمت المرأة بالأمر انفجرت باكية ولم تتمالك أعصابها. لن أنسى ذلك المشهد قطّ، إنّه تعبير عن حرقة أمّ لم تكن تتصوّر أبدا أن ابنتها قد تسير في طريق الانحراف. بعدها انتقلت التلميذة المعينة إلى إعدادية خاصّة، ولم أعد أسمع بها.»

نجد صدى لتصرّف هؤلاء الرجال لدى البغايا أنفسهنّ، إذ يرفض إعطاءها الأجر الذي تطلب بدعوى أن ابنة صغيرة قد تمارس معه الجنس بالطريقة التي يريد ولا يعطيها أكثر من 100 درهم. ولا شكّ أن الإحالة تشير إلى هذا النمط من الفتيات العديمات التجربة اللائي يقعن في شرك رجال شاذين، يحفزونهن على البغاء، ويمارسون سلوكا فظيعا في حق المجتمع وبناته ومستقبله.

الفصل الثالث

الـوسطـاء

تتناسل حول البغاء أصناف من الفئات المتواطئة، التي تجني مكسبا قد يقلّ أو يكثر من ممارسة الوساطة بين البغايا وزبائنهنّ أحيانا، أو من توفير الحماية لهنّ أحيانا أخرى.

تمثل العينة التي اعتمدناها في هذا الكتاب النّمط السّائد في البغاء راهنا بالمدن الكبرى، أي أنّ النّساء المعنيات فيها يمارسن ما يطلق عليه "البغاء الخارجي"، حيث يبحثن عن زبائنهن في الشارع أو في الأماكن العامّة، ويرافقنهم إلى الفنادق أو أحيانا إلى بيوت الدّعارة، ونادرا ما تصطحب المرأة المعنية زبونها إلى حيث تقيم وحيدة أو مع صديقاتها أو مع أسرتها.

من خلال النّساء اللائي يمارسن البغاء راهنا بالدّار البيضاء، واللائي شملهنّ هذا البحث، يبدو أن علاقتهنّ بالوسطاء تختلف عمّا يوجد مثلا في بعض البلدان، حيث يحقّق مدخول البغاء رقما مرتفعا جدّا وأحيانا خياليّا، وحيث تتشكل بنية تجارية بكاملها يلعب فيها الوسطاء دورا أساسيّا، كمستقطبين للبغايا، ومنظمين لعملهنّ حتّى يحصلون على أكبر قدر من الفوائد.

في هذا الوضع يكون الوسيط الذي يحمي البغي هو أقرب النّاس إليها، إذ يمارس عليها سلطته بطريقة مباشرة، يشغلها ويضغط عليها

لكي تشتغل باستمرار، ويحميها من منافساتها ومن المخاطر التي تهدّدها، ويعرّفها بأصحاب أماكن الدّعارة، ويلقّنها الخضوع لقواعد الوسط، وقد يمارس ضدّها العنف بشتى أشكاله إذا لم تخضع لهذه القواعد.

يبدو أنّ الأمر مخالف بالنّسبة لأغلب اللائي يمارسن البغاء بالمغرب راهنا، إذ أنّ علاقتهن بالوسطاء من الجنسين مخالفة لما ذكرنا. وهذا لا ينفي البتّة وجود هؤلاء الوسطاء.

كل النّساء البغايا اللواتي تمّ استجوابهن يمارسن البغاء غالب الأحيان في استقلال تامّ عن الوسيط، يخرجن كلّ ليلة ويرتدن كلّ الأماكن العامّة التي يعثرن فيها على زبون، وإن كانت لكلّ منهنّ علاقة بأمكنة معينة كبعض الملاهي أو بعض الفنادق، حيث يترددن عليها باستمرار، ويربطن علاقة معرفة بمستخدميها أو بأصحابها أحيانا، وخاصّة فئة "المفرغين" في الخمّارات والملاهي، أي تلك المجموعة من الرجال الأقوياء التي تتكلّف بحماية مرتادي هذه الأماكن، وتتدخّل لدى كل محاولة لخلق الشغب فيها.

لا يعني ذلك عدم وجود الوسطاء أو اختفاؤهم بالمرّة من عالم البغاء. ومن خلال الاستجوابات يبدو أن هناك نوعين من هؤلاء النّساء والرّجال الذين يكونون واسطة بين البغي وزبونها.

النوع الأوّل يتمثل في أولئك الذين تصادفهم البغي في الأماكن التي ترتادها، ويتعلّق الأمر بشباب غالبا ما يكونون شاذين جنسيّا، يمارسون البغاء مع أمثالهم وخاصّة منهم الأجانب، الشيء الذي يمكنهم من التّعرف على عدد لا يحصى من الزّبائن المحتملين بالنّسبة

للبغي التي تبحث عن أحدهم، فيتوسّط الشّاب بينها وبينه، ويأخذ عمولته منهما معا. إلاّ أن الملاحظ هو أن النساء اللائي يمارسن البغاء يرفضن هذه الطريقة في التّعامل غالب الأحيان، ويفضّلن الاستقلال بأنفسهنّ والتّعامل مع الزبون بدون وسيط، ما دمن يلتقينه في مكان يرتدنه كلّ ليلة، وما دام القدر المالي الذي سيقدّمنه للوسيط مقابل خدمة بإمكانهنّ الاستغناء عنها.

تقول "ن" : «هناك وسطاء كثيرون يقتاتون من القوادة، ولكنّني عموما أفضّل الاستغناء عنهم والاشتغال لحسابي ... إنّني أغادر مقرّي كلّ ليلة في وقت جدّ متأخّر يكون النّاس خالدين للنوم فيه، أمّا أنا فأجازف بنفسي وأخرج وحيدة، وأمنح حارس السّيّارات في الدّرب 20 درهما على الأقلّ، ليأتيني بسيّارة أجرة تنقلني إلى المكان الذي أقصده، وأعاني من أخطار كثيرة، ومنها إمكانيّة إلقاء القبض عليّ من طرف الشّرطة، أو إمكانية اعتداء أحدهم عليّ أو تشويه وجهي بسكّين ... إذا كنت أحتمل كلّ ذلك، فهل يصعب علي إيجاد زبون ؟ ولماذا سأحتاج إلى وسيط ؟ اسمعي ما سأقوله لك ! في ذلك العالم، كلّ منّا تجد من يرغب فيها، هناك فتيات صغيرات ذوات جمال فاتن، وهناك أخريات متوسّطات الجمال، ولكنّهن ينلن إعجاب الزّبائن المتعلّمين والأثرياء، لأنّهن لطيفات المعشر ويعرفن التحدّث إليهم ويسايرن مستواهم ... سأحكي لك قصّة وقعت لي مع أحد الوسطاء ... ذات ليلة كنت مع صديقة لي في أحد الملاهي، جاء هذا الوسيط ـــ وكان شابّا شاذا إذا رأيته تخيّل إليك أنّه امرأة ـــ، ومعه أجنبيان يتحدّثان الانجليزية، نادى على صديقتي وأخبرها بأنّهما يرغبان فينا، وبالقدر الذي ستحصل عليه كلّ واحدة منّا، وهو قدر نعرف معا بأنّه هزيل بالنّسبة لزبونين أجنبيين.

عادت إليّ صديقتي وأخبرتني بالأمر واتفقنا معا على أن نطلب ما نريد منهما ... انتقلنا إلى الجلوس معهم، إنّني أعرف بضع كلمات من الفرنسية أستعملها أحيانا حينما أضطرّ إلى ذلك، وقد وجدت بأن أحدهما يعرف هذه اللغة، فطلبت منه أجرا مضاعفا على ذلك الذي أخبرني به الوسيط فقبل، وناولني إيّاه مسبقا. قمت إلى المرحاض وتركت القدر عند المرأة التي تنظف المكان لأنّني كنت أثق فيها، وأحيانا كنت أدع لديها معظم ما أحصل عليه مخافة أن يسرقني أحدهم حين عودتي إلى البيت ليلا ... المهمّ ! عدت إلى مكاني وقد تركت في حقيبة يدي 200 درهم فحسْب من القدر الذي حصلت عليه من الزّبون مسبقا. استشاط الوسيط غيظا وسألني عن الأجر الذي حصلت عليه فكذبت وأريته ورقة 200 درهم، قال لي بأنّ عليك أن تعطيني إياها، فأنا الذي أتيتك بالزبون، قلت بأنّني متأكّدة من أنّك أخذت حقّك منه، احتدّ معي وهدّدني واضطررت تحت تهديده أن أمنحه 100 درهم، ومن يومها أقسمت على أن لا أتعامل مع أيّ منهم ومهما كانت الظروف، لأنّه سيبيعني كما يشاء».

تمارس الكثير من النساء مهنة الوساطة في البغاء بين البغي وزبونها. ومن خلال الأحاديث عنهنّ يظهر بأنّهن ذوات علاقة قديمة بالمجال، وأنّهن مارسن البغاء خلال شبابهنّ، وانتقلن بعده إلى الوساطة نظرا لتجربتهنّ فيه، ومعرفتهنّ بالأطراف التي ترتاده من الزبائن والبغايا على السّواء.

قد تمارس إحداهنّ الوساطة في الأماكن العامّة، فترتاد هي الأخرى هذه الأماكن كلّ ليلة، وبحكم معرفتها بالمكان وأصحابه تنادي على هذه الفتاة أو تلك بطريقة أو بأخرى، وتخبرها بأن هذا

الزبون أو ذاك من الجالسين معها يرغب فيها، وسيعطيها كذا أو كذا إذا ما قبلت. إلاّ أن ردّ فعل البغايا عموما هو رفض مثل هذه الوساطة لنفس الأسباب التي أوضحناها سابقا، ومنها على الأخصّ استشعارهن للاستغلال الذي يمارسه الوسيط أو الوسيطة عليهن.

تضيف "ن" «هل أنا حمقاء حتى أعطيها 200 درهم مما سأحصل عليه ؟ لقد قالت لي إحداهنّ ذات ليلة بأنّني صديقتك، ولا أريد لك إلاّ الخير، ولا أعرّفك إلاّ بالمحترمين من الرّجال، أجبتها "صاحبك بالرّبح ماشي بالخسارة"، وماذا سيبقى لي إذا أعطيتك أنت 200 درهم أو 300 درهم كلّ مرّة ؟ إنّني أخسر الكثير كلّ يوم، وعليّ أن أؤدّي مصاريف كثيرة، ولست ضامنة مدخولا يوميّا وقارّا ... ما تفيدك به الوسيطة في مثل هذه الحالات، هو أنّها تطمئنك حين تخبْرك بأنّها تعرف الزّبون حقّ المعرفة، وأن بإمكانك أن تذهبي معه حيث شاء، لأنّه ثقة ولن تخافي منه».

إذا كانت معظم البغايا يرفضن هذا النوع من الوساطة – الخارجية– بما أنّها تمارس في الأماكن العامّة، فإنّ بعضهن تتعامل مع وسيطات يحوّلن منازلهنّ إلى بيوت مقنّعة للدّعارة، يستقبلن فيها الزّبائن والبغايا. إنّه البغاء الذي يمارس بالمواعيد وهو شائع راهنا على الأخصّ في البلاد الغربية حيث يمارس بغاء يمكن أن ننعته ببغاء الرّفاه، الذي يرتاده زبائن أثرياء، يشترطون الرّاحة والأمان والسّتر وتجنّب الفضائح. في هذه الحالة يتوجّه الزّبون إلى وسيط يدلّه على امرأة تمارس البغاء حسب المواصفات التي يطلبها. قد يكون هذا الوسيط شخصا وغالبا ما يتعلّق الأمر بامرأة، أو تكون الوساطة ممثلة في تنظيم أكثر تعقيدا يتحكم في شبكات للدعارة، ويتوفّر على عشرات النّساء اللائي

يبعن أجسادهنّ مقابل أثمنة مرتفعة جدّا، تقتسم بينهنّ وبين الوسيط سواء كان شخصا أم تنظيما.

قد لا يصل الأمر إلى هذا القدر من التّعقيد بالنّسبة لعلاقة النّساء الوسيطات بالبغايا اللائي شملهنّ هذا البحث راهنا. إلا أن الأحاديث تنبئ عن وجود وسيطات من النّساء، يوفّرن لأنفسهنّ ولمن يذهب إليهنّ أكبر قدر من الرّاحة والأمان، ويمتلكن أرقام هواتف الفتيات ويتصلن بهنّ عند الضرورة.

تقول "ن" : «أعرف امرأة تسكن في حيّ راق، لو رأيتها لما صدّقت بأنّها تمارس القوادة، تبدو محترمة جدّا، وتتنقّل في سيّارة فخمة وتسكن بيتا رائعا، إنّها متزوّجة من رجل يعمل سائقا في إحدى الشركات، ولها منه أطفال. الدّار نظيفة جدّا ومؤثثة بشكل راق، الحمّام يلمع وبه كلّ المستلزمات وكأنّك في أحد الفنادق الفخمة ... إنّها تملك رقمي وتتصل بي من حين لآخر، وكلّما اتصلت بي أذهب دون تردّد.

لماذا ؟ لأنّني لا أخاف من مداهمة البوليس لمسكنها، هناك دور كثيرة للدعارة، ولكنّك لا تكونين أبدا في أمان، وحتّى إذا لم يداهمك البوليس فيها فإنّك تجدين سيّارة الأمن تنتظر خروجك منها في منتصف الليل.

أمّا بالنّسبة للمرأة التي أحدّثك عنها فالأمر مخالفٌ، دارها فعلا مؤمّنة، والبوليس لا يقربها لماذا ؟ لأنّ من يأتون إليها من الكبار، ولأنّها تعمل ذلك في السرّ. تستقبل زبونا واحدا أو إثنين، تعرف الكثير من الأجانب، منهم العرب ومنهم الأوربيون، ما إن يصل أحدهم حتّى

يتصل بها ويطلب منها ما يريد. لها طبّاخة ممتازة وهناك شابٌّ يسهر على خدمة الضيوف، وهي توفّر كلّ شيء يرغبون في أكله أو شربه ... ذات يوم قلت لها بأنّني أخاف من مفاجأة البوليس، طمأنتني بأنها تعرف كثيرين منهم، ثمّ إنها لا تستقبل زبائن كثيرين. وإذا ما حصل وأتى رجال الأمن، ماذا بوسعهم أن يفعلوا لها ؟ إنّها متزوّجة وزوجها معها ... حينها ستبعث بالبنت الموجودة إلى غرفة نوم أطفالها، وستدّعي بأنّ الزبون صديق للزّوج ... هذا كل ما في الأمر ! بعدها أحسست بالإطمئنان».

إذا كان الوسطاء من الجنسين يشكّلون طرفا من الأطراف المحتضنة للبغاء، والمتواطئة معه، وبالتّالي المشجّعة عليه بطريقة مباشرة، فلأنهم غالبا ما يتقاضون نصيبا كبيرا من الأرباح فيه. وحالة هذه الوسيطة التي تحدّثت عنها "ن" بإسهاب يدلّ على معرفتها الكبيرة بها تؤكّد ذلك. إنّها امرأة عارفة حق المعرفة بذلك العالم ودواليبه، أهّلها لذلك كونها مارست البغاء في السّابق، أي في ذلك العهد -الزاهر- الذي تتأسف كل البغايا على افْتقاده اليوم، ويتعلّق الأمر بسنوات السّبعينيات أساسا، حيث ساهمت مداخيل النفط المرتفعة في بعض البلدان العربية من جهة، واندلاع الحرب الأهلية في لبنان من جهة أخرى، في توجّه سائحي الجنس من عرب النّفط إلى المغرب، حيث وجدوا أرضية سوسيو-اقتصادية خصبة تدفع ببنات الفئات الفقيرة إلى بيع أجسادهنّ، ممّا أدّى إلى مزيد من التّدهور في القيم والتلهّف على جمع المال، ودخول الكثيرين والكثيرات كأطراف مساهمة في بنية البغاء، نظرا لشيوع الظاهرة والإغراء المادّي الذي تمارسه.

تتحدّث "ن" بأسف عن هذه الفترة «...إن المرأة التي أحدّثك عنها كانت تمارس البغاء مع عرب النّفط، كانوا يعطون الكثير، ومعظم

اللّواتي كنّ في تلك المرحلة "دارو علاش يرجعو"، لقد اشترين الدّور والڤيلات والسيارات الفخمة والذهب ... أمّا اليوم فالأمر مخالف ... المال الذي تحصلين عليه لا يكفيك ! صدّقيني ! إنّني دائما أحمل همّ الكراء والكهرباء والماء والتّيلفون. أما تلك المرأة، فقد عرفت كيف تؤمّن مستقبلها، وهي الآن تحصل على مداخيل مرتفعة جدّا.... الزّبائن يؤدّون كلّ شيء من أكل وشرب وإقامة ... أمّا أنت فعليك أن تطلبي أجرك، وهي لا تأخذ منك شيئا على الإطلاق».

الوسطاء الحماة :

الملاحظ من خلال معاينة واقع النّساء اللائي يمارسن البغاء وطبيعة العلاقة بينهن وبين الأطراف الأخرى التي تشكل بنيته، أن دور الوسيط قد يقلّ أو يكبر في حياتهنّ تبعا لعوامل كثيرة من أهمّها، الموقع الذي تحتلّه البغي في التّراتبية التي تحكم ذلك العالم، وهو موقع ذو طبيعة سوسيو-اقتصادية بالأساس بما أنّه مرتبط بمؤهلاتها. من العوامل أيضا نجد جغرافية المكان، أي المجال الذي ترتاده المرأة البغي لكي تلتقي بزبائنها، وهو مجال بعكس التراتبية التي ذكرنا، إذ يتراوح بين الفنادق الفخمة والملاهي المعروفة، وبين الشوارع أو الأزقة المظلمة المشبوهة.

كلّما تدنّت مرتبة المرأة اقتصاديا في هذا العالم، إلاّ وكانت في أمسّ الحاجة إلى من يحميها، وهذه الحماية تتخذ غالب الأحيان شكل وساطة وتسلّط، لأن المرأة تقف في أحد الأماكن بالشارع العامّ وتنتظر زبونا، في حين أنّ الشخص الذي يحميها يقف بمكان قريب منها، ويتدخّل كلّما دعا الأمر إلى ذلك.

تبين الدّراسات بأن خصائص هذه العيّنة من الرّجال الذين يوفّرون الحماية للبغايا تتشابه في كل بلدان العالم، إذ أن منطق الرّبح والرّغبة

في الحصول على المال دون بذل أي مجهود، وكذا افتقاد الحصانة الأخلاقية، كلّ ذلك يمكن أن يؤدّي بالرّجل إلى ممارسة القوادة والعيش من مدخولها.

سوء الوضعية الاجتماعية والاقتصادية في المغرب عموما وفي مدينة كبرى كالدار البيضاء خصوصا، شيوع الفقر والأمية والبطالة مع كل مترتباتها على المحيط الأسروي الذي يسوده التفكك بفعل الظروف المحيطة، والذي يدفع الأسرة إلى التخلي عن دورها في ترسيخ قيم النزاهة والعمل الجادّ. في مثل هذا الوضع يشيع الانحراف بشتى أشكاله، وتتناسل الفئات الطفيلية ومنها الوسطاء الذين يكفلون الحماية للبغايا بأشكال مختلفة.

تقول "ن" : «إنّك دائما في حاجة إلى الحماية، تخافين ممّا يمكن أن يصادفك وأنت خارجة أو عائدة ليلا، تخافين مثلا من أن يعتدي عليك أو لاد الدرب الذين تجدينهم عند عودتك في وقت متأخر يدخّنون الحشيش أو يشربون الخمر، ولذلك فأنت محتاجة إلى من يحميك منهم. كيف ذلك ؟ الأمر بسيط ... يكون هناك شاب من الدّرب، معروف بشراسته ويخافه الجميع، وغالبا ما يكون من المتعاطين للمخدّرات أو من بائعيها ... تعطينه كل يوم 20 أو 30 أو 50 درهما، وحين تعودين لا يجسر أحد على الاقتراب منك ... هل هناك كثيرون من هذا النوع ؟ ... لو رأيت بعينك لما صدّقت، وخاصّة الآن حيث العديد من الشباب عاطلون لا يجدون عملا ومستعدّون للقيام بأي شيء في سبيل الحصول على المال. أعرف الآن شبابا أكملوا دراستهم، وعادة ما يكون أحدهم جارا لإحدى النساء اللائي يخرجن، تطلب منه أن يحميها فيرافقها إلى الأماكن التي تذهب إليها، قد يجلس بعيدا

منها وتبعث إليه هي ما يحتاجه من شرب أو سجائر على حساب الزبون، وقد ينتظر خروجها في باب الفندق أو الملهى أو أيّ مكان آخر ترتاده لكي يرافقها في العودة ... هل يتدخّل في علاقتها بالزّبون ؟ لا ! إطلاقا ! التّساوم مع الزّبون أمر يخصّها هي وحدها، وعموما ما تعطيه للشاب لا يمكن أن يتجاوز 100 درهم لليوم».

إذا كانت هذه الحماية التي تتحدّث عنها "ن" لا تعني التّدخل المباشر في حياة البغي واختياراتها لزبائنها والأجر الذي تطلبه، وإذا كان الشخص المعني فيها يتقاضى أجرا يوميّا غير قارّ لأنّه يخضع للمدخول اليومي للمرأة التي تؤجّره، فإنّ هناك أشكالا من الحماية تجسّد التسلّط بما في الكلمة من معنى، وتكتسي فيها العلاقة بين الوسيط الحامي وبين المرأة التي تمارس البغاء طابع العنف والشراسة.

يتعلق الأمر في هذه الحالة بالبغايا الفقيرات اللائي يحصلن على أجور زهيدة جدّا، وهنّ غالبا ما ينتمين إلى أسر قروية هاجرت إلى المدينة وتسكن في ضواحيها البعيدة، أو في مدن الصفيح، أو من النّساء الفقيرات اللائي يعُلن أطفالا، وغالبا ما يكنّ مطلّقات أو أرامل شابّات، وفي أحيان كثيرة يمارسن أعمالا هامشيّة إلى جانب البغاء ذي المدخول المتدنّي، فيشتغلن خادمات مياومات ينتظرن من يطلبهنّ للعمل بالقرب من بعض الأسواق الكبرى في المدينة، حيث تكون فرصهنّ في إيجاد عمل شبه منعدمة، نظرا لكثرة الطلب إذا ماقورن بالعرض. ولذلك يتجهن إلى البغاء للحصول على لقمة العيش.

من أبرز خصائص هؤلاء النّساء أنهنّ أمّيات لم يرتدن المدارس، ولم ينفتحن على أنماط العيش الحديثة، ولذلك يكنّ مرتديات الزيّ التقليدي المتواضع، ويختلفن في مظهرهن ومؤهلاتهنّ اختلافا كاملا

عن اللواتي يرتدن الأماكن التي توفّر لهنّ مدخولا مرتفعا غالب الأحيان.

علاقة هذه العينة من البغايا بحماتهنّ علاقة يسودها التسلط والعنف من جانب، والقهر من الجانب الآخر، إذ أنّ الرّجل الذي يحميها يخضعها لمراقبته ويستأثر بأغلب ما تحصل عليه، وإذا ما اكتشف بأنّها تراوغه يمارس عليها العنف الجسدي بدون رحمة.

تقول "ر" (36 سنة) : «عندما بدأت أخرج لم أكن أدري شيئاً، اقترحت عليّ صديقة لي بأن أخرج معها ذات ليلة، وأخبرتني بأنها ستذهب بي إلى المكان وعليّ أن أتدبّر أمري. ما إن وصلنا إلى الشارع المعني حتى ابتعدت عنّي وتركتني وحيدة ... وأنا واقفة أتاني أحدهم، منظره مخيف لأن آثار ضربات السكين بادية على وجهه، أخبرني بأنّه مستعدّ لحمايتي من كلّ ما يمكن أن يصيبني بما في ذلك البوليس، واشترط عليّ أن أمنحه النصف ممّا أحصل عليه مسبقا من الزّبون، وأنّه مستعدّ للتفاوض معه، وأنّه سيكون بمثابة أخي ويحافظ عليّ ... ماذا فعلت ؟ وهل كان لي الخيار ؟ ألا تعرفين الليل ومخاطره ؟ هل أنت قادرة على الخروج ليلا بدون حماية ؟ الرّجال الذين تصادفينهم يكونون كالوحوش ... والشرطة ؟ نعم ! أخاف أن يلقى عليّ القبض، ولكنّ ذلك لم يحصل لحدّ الان لأنّ "أ" يحميني، وحين يرى سيّارة الشرطة تقترب منّي يسرع إليهم ويتفاهم معهم لأنّهم يعرفونه ... علاقتي به ؟ إنّني أخاف منه ولكنّني لا أستطيع الخروج بدونه، إنّني أعرفه منذ ثلاث سنوات ... هل مارست معه الجنس ؟ أحيانا يخبرني بأنّه سيأتي عندي في الغد، فأفهم بأنّ عليّ أن لا أخرج وأنتظره في البيت ونمضي الليلة معا».

إذا كانت الفنادق الفخمة والملاهي المعروفة توفّر قدرا من الأمان للبغايا اللائي يرتدنها، لأنّها إضافة إلى الحماية الأمنية التي تحضى بها، تتوفر على أجهزتها الأمنية الدّاخلية التي تحارب الشغب، فإن النّساء اللائي يمارسن البغاء في الشوارع مجردات من كلّ حماية، ومضطرات إلى الوسيط الحامي الذي لا يقتسم معهنّ مدخُولهنًّ فحسب، ولكنّه يستغلهنّ جنْسيا كذلك. وحالة "ر" البغي المطلّقة والفقيرة خير دليل على ذلك :

«نعم ! إنّني أخافه لأنّه عنيف جدّا، ويتحوّل إلى وحش إذا ما أحسّ بأنّك تخفين عنه سنتيما ... مرّة أعطاني زبون 100 درهم مقسومة على اثنين، أخفيت عنه الورقة الثانية، وقلت له بأنني حصلت على 50 درهما فحسب، كنت أرتعد من الخوف وأحسّ هو بي، ضربني وهو يصيح بأعلى صوته في الشارع "ألقحـ... هل تريدين الضحك علي؟ "، ... سال الدّم من أنفي وانتفخت عيني وظللت في البيت أسبوعا كاملا دون أن أخرج ... متى كان ذلك ؟ منذ أكثر من عام ... بعدها لم أعاود الكرّة قطّ ... وهل أنا حمقاء ؟».

ملحق

بوح الجسد المستباح
شهادات

ملاحظة : كل الأسماء مستعارة

إحساس قويّ يدفعني إلى تقديم هذه الشهادة دون الأخريات، منبثق من الأثر العميق الذي خلّفته في نفسي. كانت عيون «سعاد» تلاحقني وأنا أفرّغ الكاسيت التي سجلتها معها، نظراتها الحزينة، هدوؤها اللافت للانتباه كجمالها، تميّز شخصيتها ومعرفتها بما يجري في البلاد وخارجها ... كلّ ذلك أستحضره الآن ومعه ذلك السّؤال الفظيع الذي يعذبها : «هل سبق لك أن رأيت زوجا يدفع بزوجته إلى البغاء ويرغمها عليه ؟» ... العذاب في حالة «سعاد» (وليكن هذا هو اسمها بين هذه السّطور) نابعٌ من أنّ الزّوج المعني يتوفّر على وضع اجتماعي مريح يوفّر له إمكانيات العيش الرّغيد ... وإذن ما هي الدّوافع الكامنة وراء سلوكه ؟ عذابات «سعاد» ومعاناتها أعمق كثيرا من أن تنقلها هذه الكلمات.

قد يلاحظ القراء والقارئات بأنّ هذه الشهادة تختلف في صيغتها عن الأخريات، لأنّني تناقشت مع صاحبَتها في أمور شتّى أخذنا إليها الحديث، على عكس الشهادات الأخرى التي لم أكن أتدخّل فيها باستثناء توجيه بعض الأسئلة أو طلب بعض التّوضيحات.

سعاد

نشأت في أسرة متوسّطة ومحافظة، كان أبي موظفا في إحدى الإدارات، وكانت له أرض يكتريها في منطقة الشاوية، تدرّ عليه كل سنة مدخولا يمكننا من العيش في مستوى أعلى من جيراننا بكثير. أمّي ربّة بيت، كنّا ثلاث بنات وولدين، وكنت أنا الثانية بعد أخي الأكبر. كنا أسرة بدون مشاكل، أبي كان رجلا هادئا ولا أذكر أنّني سمعته يصرخ يوما في وجه أمّي، بالعكس كان يحبّها ويدللها ويؤنّبنا إذا ما أحسّ أو رأى بأنّنا نعاملها بقلّة أدب.

حصل أخي الأكبر على الشهادة الثانوية التقنية، وانقطع عن الدّراسة وعمل بإحدى الشركات. عمري الآن 28 سنة وهو يكبرني بثلاث سنوات، أمّا أنا فكنت مصرّة على متابعة دراستي، وفعلا حصلت على شهادة الباكالوريا، كنت ممتازة في إحدى اللغات الأجنبية، ولذلك اخترت دراستها بالكلية.

لم يكن يمرّ شهر دون أن يأتي أحدهم لخطبتي، معظم أبناء الجيران تقدّموا لي ولكنّ أبي كان يرفض الحديث في الأمر، ويقول لهم بأن البنت تريد متابعة دراستها، ولم يحن الوقت بعد لكي تتزوّج، وذلك كان رأيي ... هل تتصوّرين بأنّني كنت أحلم بالحصول على الإجازة والسفر إلى الخارج لمتابعة دراستي ؟

ماذا حصل ؟ أنا نفسي لا أصدّق ما وقع لي ... كنت طالبة مجدّة، أهيئ امتحاناتي وأقرأ بعض الكتب وخاصّة الرّوايات التي يكتبها المغاربة بالفرنسية ... كانت تعجبني جدّا وكنت أحلم أن أكتب يوما مثلهم ... هل أفكّر في الكتابة ؟ عندما أجلس وحدي أحيانا أقول بأنّ ما عشته يستحقّ أن يكتب، وأحيانا أكون يائسة فأرى الدّنيا مظلمة وأكره حياتي ولا أفكّر في شيء "كنعيش وصافي ... بلا ما نفكّر".

ــ كيف يمكن للإنسان أن يعيش دون أن يفكّر ؟

ــ فهمت قصدك ... الحيوان هو الذي لا يفكّر، صدّقيني! في بعض الأحيان يودّ الإنسان أن يكون حيوانا لا يفكّر فعلا.

ــ أهو يأس أم رفض للواقع أم ماذا ؟

ــ الاثنان معا، لا يمكن أن يكون الإنسان يائسا حين يقبل واقعه ويرتاح إليه .

ــ وإذن ! أنت ـ أحيانا ـ ترفضين واقعك هذا ؟ فلماذا تعيشينه ؟

ــ لا أدري ! عرض عليّ بعضهم الزّواج بالفعل ولكنّني رفضت.

ــ ولكن بإمكانك أن تغيّري حياتك دون أن تتزوّجي ! أنت تملكين شقة وسيّارة ولا شك أنّ لك حسابا بنكيا ... لماذا لا تغيّرين حياتك ؟

ــ ليست المسألة مسألة مال.

ــ وما هي في رأيك ؟

ــ (صمت) ... لا أدري !

المهمّ ! نعود إلى ما كنّا فيه ... آه ! فعلا يحتاج الإنسان إلى من يبوح له ببعض الأشياء أحيانا.

ـــ ماهي هذه الأشياء ؟
ـــ (ضحكٌ ساخرٌ !) ... ألا تعرفينها ؟ ولماذا أتيت إليّ ؟
ـــ صدّقيني ! لا أعرف عنك شيئا !
ـــ ألم تخبرك صديقتي ؟ هي التي طلبت منّي أن أتحدّث إليك، وحين رفضت أقنعتني.

ـــ إنني فعلا أعرفها، وعندما كلّمتها عن الموضوع الذي أشتغل عليه اقترحت أن تعرّفك بي ...

ـــ ألم تخبرك بشيء عنّي ؟

ـــ إطلاقا ! والدّليل أنّني هنا لأسألك أنت، لو كنت أعرف لما قدمت !

المهمّ ! أين كنّا ؟ الحديث طويل ولا ينتهي ... كنا في مرحلة الدراسة ... نعم ! تابعت دراستي حتّى السّنة الثالثة من الإجازة، لم أسقط في أية سنة رغم ارتفاع نسبة السّقوط في تلك الشعبة.

ذات يوم من أيّام فصل الشتاء ... لا زلت أذكره كاليوم، لأن المطر كان ينهمر بغزارة، ولأن الرّيح كانت شديدة، فتكسّرت المظلة، وعدت إلى البيت مبتلّة من رأسي حتّى قدمي. فتحت لي أختي الباب ودخلت وأنا ألعن المظلّة والطقس، أشارت إليّ أختي بالسّكوت لأنّ لدينا ضيوفا ... سألت : من هم ؟ أخبرتي بأنّهم من عائلة كذا، وقد جاؤوا ليخطبوك لابنهم.

ليتني ما رأيت ذلك اليوم لأنه سبب مصائبي ... أتعرفين ؟ هذه العائلة كانت تربطنا بهم علاقة قرابة، وكان أبي يقول لهم "أولاد عمي" لأنّهم من قبيلته الأصلية. غيّرت ملابسي ودخلت لأسلّم على

المرأة التي كانت أم الولد وكذلك أخته التي رافقتها. إنّهم أغنياء يملكون العديد من حافلات النّقل بين المدن، ابنهم كان قد أنهى دراسته في فرنسا، وعاد إلى المغرب منذ سنة، وكان يعمل في وظيفة محترمة بإحدى الشركات.

لا أكذب عليك ... عندما رأيته فيما بعد لم أستطع أن أقول لا، رغم أنّني أخبرت أهله برغبتي في متابعة دراستي. كان شابا من ذلك النوع الذي تتمنّاه كل فتاة، على قدر كبير من الوسامة واللطف، يندمج مع النّاس بسرعة ويضحك كثيرا ولا يكفّ عن النّكتة، كان متفتحا جدّا بحكم دراسته في الخارج، وعندما أخبرته برغبتي في متابعة الدّراسة، لم يعترض ووعدني بأنه سيساعدني قدر طاقته، وسيوفّر لي الجوّ الملائم ... مرّت الأمور بسرعة لا تتصوّرينها، ارتبط خطيبي بكل أفراد عائلتي، ما أن يدخل عليهم حتّى تعمّ البهجة البيت، ويحيطون به وخاصة أخواتي وإخوتي. كان ممتعا ورقيقا، وكنت أتخيّل بأنّ حياتي معه ستكون سعادة بلا ضفاف (التعبير لسعاد).

لم تلهني الاستعدادات للزّواج في الصيف عن دروسي، ظللت مواظبة حتّى نهاية السّنة، وغالبا ما كان خطيبي ينتظرني آخر النّهار بعد الدّرس أمام باب الكلية، نقوم بجولة قصيرة ثمّ أصرّ على العودة إلى البيت لأن الامتحان قرب موعده. نجحت وأصبحت على بعد سنة واحدة من الإجازة فحسب، وبعد إعلان النّتيجة بأسبوعين كنت عروسا في "العمارية" والنّكافات يزغردن من حولي ... كنت سعيدة فعلا وكنت أحسّ بحبّ خطيبي الذي يشعّ من عينيه حين ينظر إليّ ...
كان العرس فخما بما في الكلمة من معنى، وكانت الهدايا التي قدّمها إليّ عريسي غالية الثمن، ومنها حزام ذهبي "مضمّة" قالت النكافة بأنّها نادرا ما رأت عريسا يقدّمها لعروسته.

انتهى العرس، سافرنا إلى أغادير، أقمنا عشرة أيّام في فندق فخم وعدنا إلى شقتنا الجديدة ... والله العظيم ! كأنني كنت في حلم، كل شيء كان جميلا حولي... كل شيء كان رائعا. انتهت العطلة، وأعربت عن رغبتي في استئناف دراستي، فلم يعارض زوجي وشجعني. كنت أتوفّر على خادمتين، إحداهما تهتمّ بالطبخ والأخرى تقوم بالأعمال المنزلية، وبالتّالي كان بإمكاني أن أنصرف إلى دروسي وأتفرّغ لها.

كيف كانت علاقتي بزوجي ؟ خلال الأشهر الأولى لم ألاحظ أيّ تغيير عليه، ظل الإنسان الرقيق الذي عرفته، يوليني اهتماما كبيرا ويجلب لي هدايا كثيرة ... قوارير العطر الرّفيع عندي كانت تملأ الدّولاب، كان يكفي أن أعرب له عن رغبتي في شيء لكي يقتنيه لي.

بدأ المشكل عندما أخبرني زوجي ذات يوم بأنّه استدعى مدير الشركة التي يعمل بها للعشاء عندنا لأنّه يودّ التّعرّف عليّ، وجدت الأمر طبيعيا وأبديت ترحيبي بالأمر، وسألته إن كان سيصحب معه زوجته فأخبرني بأنّه لا يدري شيئا، قلت له بأن الواجب كان يفرض عليه أن يستدعي زوجته. لم يردّ عليّ ولم أبال بالأمر.صباح يوم السبت التّالي خرجنا معا واشترينا كلّ لوازم العشاء، فاجأني زوجي عندما أخبرني بأنّ علينا أن نقتني الخمر وخاصّة "الويسكي" لأنّ المدير يشربه ...

ما سرّ مفاجأتي ؟ لم يكن زوجي سكّيرا، قليلا ما رأيته يشرب الخمر، وكان ذلك يحصل دائما خارج البيت، حين كنا نذهب إلى فندق أو مطعم، وكان دائما يقول لي بأنه يحمد الله لأن مقامه بفرنسا لم يؤثر فيه بما أنّه لا يدخّن ونادرا مايقرب الخمر.

المهمّ ! حضّرنا عشاء فاخرا وقرب موعد قدوم السّيد المدير، دخلت غرفة النّوم وفتحت الدّولاب لكي آخذ ملابسي، فوجئت بزوجي يمدّ يده إلى كسوة من ذلك النّوع الذي يلبس في السّهرات إذ أن الظهر يظل شبه عار، كنت أحيانا أرتديها في بعض المناسبات، وأضع على كتفي شالا عريضا ينحدر حتّ الوسط حتّى لا أبدو شبه عارية، قلت ولكن ! هذه الكسوة غير ملائمة ويلزمها الشال، هل سأضع شالا وأنا في بيتي ؟ أجابني ضاحكا : ومن طلب منك أن تضعي الشال ؟ إلبسيها وكفى ! تبدين فاتنة فيها وأنا زوجك وأحبّك.

ارتديت الكسوة وتزينت، كنت أبدو فعلا جميلة، إلى حدّ أن السّيّد المدير عندما دخل الشقة ورآني أتقدّم نحوه صعق و"فلتو عينيه" والتفت إلى زوجي قائلا بالفرنسية : «أهنّئك، زوجتك جميلة جدّا»، وقدّم إلينا هديّته التي كانت ربطة عنق حريرية فاخرة لزوجي وسوارا ذهبيا لي.

جلسنا على الأرائك الجلدية الوتيرة والرجل لا يرفع عينيه عنّي إلى حدّ أنّني أحسست بالحرج والضيق. لقد كان تقريبا في عمر والدي، إلاّ أن عنايته بجسمه وهندامه واضحة، ورغم ذلك كنت أقول لنفسي بأنّه أحمق، وأنا أنظر إلى زوجي الذي كان شابّا وجذابا... احتقرته في داخلي ولكنّني أبديت له الترحاب ما دام ضيفا علينا.

سهر زوجي بنفسه على إعداد مائدة الشراب قبل تقديم العشاء، كانت الخادمة تأتيه بالأشياء اللازمة، وكان هو الذي يعد المائدة بنفسه. وحين طلب منّي أن أصبّ الويسكي للمدير أصبت بدهشة قوية، وكأنّني تلقيت صفعة من أحد ! ارتعدت يدي وأنا أصبّ الشراب في

الكأس، كانت المرّة الأولى في حياتي التي أسقي فيها رجلا خمرا، لم أفعل ذلك مع زوجي من قبل لأنه لم يكن يأتي بالخمر إلى البيت.

سألني المدير : وأنت يا سيّدتي، ألا تشربين ؟

أجبته بأنّني لم أذق خمرا قطّ، ابتسم ومدّ يده بهدوء إلى القنينة وصبّ لي كأسا بعد أن وضع فيها قطع الثلج، وأضاف إليها الكوكاكولا، ناولني إياها قائلا بالفرنسية كعادته :

ـــ ألا تعتقدين بأنه قد آن الأوان لكي تفعلي ذلك ؟

ما هو ردّ فعل زوجي ؟ لم يعارض ولم يدافع عنّي، على العكس من ذلك عقّب تعقيبا كاذبا وغريبا حيث قال للرّجل : "ذلك ما أقوله لها دائما، فالشّرب ليس عيبا من حين لآخر»

انتهت السهرة وغادرنا المدير بعد منتصف الليل، ودّعناه ودخلت غرفة نومي، كنت واجمة، ولكنّ داخلي كان يغليي بأحاسيس لا أستطيع وصفها.

ـــ بماذا أحسست ؟

ـــ مشاعر مختلطة ... نوع من القلق والشّكّ والغضب... لا أعرف بالضبط ولكنّني لم أكن طبيعية وظللت صامتة.

ـــ ألم تحدّثي زوجك بالأمر ؟

ـــ لم أقل شيئا تلك الليلة ... أنا نفسي لا أدري السبب.

ـــ سبب ماذا ؟

ـــ كوني لم أواجهه من البداية ... مثلا لم أرض كونه يطلب منّي أن أصبّ الخمر للرّجل، شعرت بالإهانة عندما فعل ذلك، أتعرفين ؟ إنّني من أسرة ذات أصول قروية جدّ محافظة، أبي لم يكن يشرب

الخمر، أخي الأكبر عندما كان يشرب ونادرا ما يفعل، كان ينتظر أن ينام الجميع لكي يعود إلى البيت لأنّه لا يستطيع مواجهة أبي أو أمّي وهو شارب خمرا ... هكذا تربّيت، أتفهمين سبب إحساسي بالإهانة ؟

الذي حصل بعد ذلك هو أنّ السّيد المدير بدأ يسهر عندنا أسبوعياً بانتظام، وبدأت أنا أتعوّد شيئا فشيئا على تلك الحياة.

كيف ذلك ؟

ــ بدأت أدخّن وأشرب وأتكلّم وأضحك كثيرا ... بدأ الرجل يقترب منّي شيئا فشيئا، وما عدت أمانع في ذلك لأنّه إنسان يفهم الحياة، ويعرف كيف يتحدّث في كلّ الأمور بما في ذلك الأشياء التي كنت أدرسها ... وزوجي ؟ كان كعادته لطيفا ورقيقا، ولكنّ شيئا ما تكسّر بيننا ... حياتنا ظلّت هي هي، ولكنّني اكتشفت بأنّه إنسان غير سويّ. كان يشكو من شيء ما ... لا أعرف !

ــ لماذا تقولين ذلك ؟ هل بدر عنه سلوك ما دلّ على أنّه غير سوي ؟

ــ نعم كان أحيانا يمارس معي الجنس بطريقة جنونية، وهو يقول بأنّه يرغب في أكثر عندما يحسّ إعجاب الآخرين بي ورغبتهم في.

هل أحسّ بما يجري بيني وبين المدير ؟ لا أدري ! المهمّ ... ذات يوم سافر زوجي في مهمّة إلى الخارج، اتّصل المدير بي ودعاني للعشاء في مطعم فخم، وبعدها عرض عليّ أن أذهب معه إلى شقة كان يلتقي فيها مع أصدقائه ... ذهبنا وشربنا كثيرا ومارست الجنس معه ... كنت طبعا تحت تأثير الخمر، ولكنّنا عندما صحونا في الصّباح تحادثنا كثيرا، صارحته بأنها أوّل مرّة أخون فيها زوجي، فوجئت به يؤكّد لي بأنّه

أدرك ذلك منذ رآني، وأنّه فهم بأنني لست من هذا العالم الذي تبيع فيه المرأة جسدها ... أخبرني بأشياء أذهلتني ... مثلا بأنّه كان يودّ المجيء عندنا مع زوجته، ولكنّ زوجي هو الذي أوحى إليه بأن يأتي وحده حتى يأخذ حرّيته ... هل تتصوّرين بأنّ الرّجل كان يتساءل هو الآخر عن السبب الذي يدفع بزوجي إلى مثل هذا السّلوك، خاصة وأنه متزوّج "ببنت الناس" ؟

ــ توطّدت علاقتي بالمدير، وتيقّنت بعدها أن زوجي يعلم بالأمر ولا يبدي حراكا، بل إنّه كان أحيانا يكلّمني هاتفيا ليخبرني بقدوم مديره عندنا وبالهدية التي سيقدّمها إليّ ... ماذا أقول لك ؟ تعودت على تلك الحياة، عشتها ما يقارب السّنتين، زوجي كان يسافر كثيرا إلى الخارج وكان المدير يزورني في شقّتنا فنسهر معا ونمارس الجنس ... علاقتي بزوجي تدهورت كثيرا خلال هذه المدّة، بدأت أحتقره وأبتعد عنه، وكنت أرفض اقتسام الفراش معه، وكان أحيانا كثيرة يبكي وهو يستعطفني لكي ألبّي رغبته ... ولكنّني أصررت في النهاية على أ لا يلمسني، كنت أصرخ في وجهه بأنّ جعل منّي مجرّد بغي... تمارس الجنس مع رجل بمعرفته، كنت أعيّره بأنّه عديم الكرامة "ما فيه نفس"، وأخيرا طلبت منه الطّلاق.

رفض في البداية وأصرّ على رفضه مدّعيا أنّه يحبّني ... في نفس الوقت كانت علاقتي بالرّجل الآخر تتوطّد أكثر فأكثر، لقد فهمني وفهم ظروفي وذات يوم عرض عليّ الزواج إذا أنا طلقت من زوجي، ولكنّني صارحته برفضي وقلت له بأنّني أريد الطّلاق والانفصال عن هذا العالم الذي عشته ككابوس مخيف، وأنّني سأعود إلى حياتي السّابقة، وسأنسى كلّ شيء ... لكن هيهات !

هدّدت زوجي بفضحه إذا لم يشأ منحي الطّلاق، قلت له بأنّني سأذهب إلى القاضي وأقول له بأنّه زوجي ولكنّه يحرّضني على الفساد ... هدّدت بفضحه أمام أمّه وعائلته ... بكى كثيرا لكنّه رضَخ لأمري وطلّقني، وطلب منّي أن آخذ كل أثاث الشقة إذا شئت.

حين علمت أسرتي بعزمي على الطّلاق قامت القيامة في البيت، أمّي تقول بأنّنا لم نتعوّد على ذلك وليس في عائلتنا امرأة طلّقت، أخي الأكبر صرخ في وجهي وقال بأنّني دلّلت أكثر من اللازم وأنّني لا أعرف ماذا أريد ... وحده أبي ناداني إلى غرفته وأقفل الباب وسألني بهدوء : "ما لك يا ابنتي ؟ لماذا تودّين الطلاق ؟ هل حصل شيء بينك وبين زوجك ؟" قلت : نعم ! سألني فأخبرته بأنّني لا أستطيع مصارحته فسكت. انصرفت عنه ولكنّي فهمت بأنه لا يعارضني وسيقنع أمّي ... هل حكيت لأحد ما جرى ؟ لأختي فحسب، هي الوحيدة التي تعرف السّبب الحقيقي لفراقنا، إنّها جدّ قريبة منّي، فارق العمر بيننا لا يتعدّى سنة، ونحن كبرنا كتوأمتين، وأنا متيقّنة بأنّها لن تبوح لأحد بما سمعته منّي.

ماذا حصل بعد ذلك ؟ عدت إلى بيتنا ولكنّني لم أمكث مع أسرتي مدّة طويلة. ظللت على علاقتي بالمدير، ساعدني كثيرا، وبحث لي عن عمل في إحدى الشركات بمرتّب محترم جدّا. مشكلتي هي أنّني لم أعد متعودة على الحياة مع أسرتي، أصبحت أدخّن وأشرب، ولم يكن ذلك مسموحا به في بيتنا. عرض عليّ المدير أن يكتري لي شقة، وذلك ما فعله، وقد أتاني بأثاث ما كنت أحلم به.

هل قبل أهلي بإقامتي دون زواج بعيدة عنهم ؟ خضت صراعا كبيرا من أجل ذلك، كذبت عليهم وقلت بأنّني سأبيع "المضمّة لكي

أكتري شقة وأؤثثها... المهم ! عندما يصمّم الإنسان على شيء يفعله ...

ـــ أين أنت من كل ذلك ؟

ـــ ماذا تقصدين ؟

ـــ أقصد ما هو شعورك تجاه كلّ ما حصل ؟ كيف طلّقت لكي تصبحي عشيقة رجل يصرف عليك ... ما هو موقفك كامرأة ؟

ـــ كنت صغيرة وعديمة التجربة، لم يكن عمري يتجاوز 23 سنة ... دخلت هذه التجربة دون أن أفكّر في العواقب، كنت أودّ الاستقلال بنفسي ... هذا كلّ ما في الأمر.

ـــ لو عدتِ إلى تلك الفترة وكان أمامك خيار آخر، هل كنت ستصرّين على اختيارك هذا ...

ـــ طبعا لا ! لأنّني أدرك أكثر فأكثر بأنّني سقطت في الشّرك، كان عليّ أن أعود إلى دراستي، وحتما كنت سأجد زوجا يليق بي ... ولكنّ فكرة الزواج لا زالت تخيفني ... لم أعد أثق في حبّ أيّ رجل ... كلّهم يبدون لك الحبّ خاصّة إذا كنت جميلة، ولكنّ الحقيقة شيء آخر ... على كلّ ! لم أعد أفكّر البتة في الزّواج !

لماذا ؟

ـــ هل يقبل أحدهم بالزّواج من امرأة مارست البغاء ؟ ثم لنفرض أنّه لا يعرف شيئا عنها وهذا ممكن جدّا ... ماذا سيكون شعورها هي ؟ أتدرين ! في إحدى المجلاّت النسائية التي تصدر بالمغرب بالفرنسية، قرأت حكاية امرأة شابّة وجميلة كانت تمارس البغاء، تزوّجت من رجل ثري يحبّها حقّا ولا يعرف عن ماضيها أيّ شيء، ولكنّها تعيش عذابا لا يتصوّر رغم أنّها تتابع علاجا نفسيّا ... صدّقيني ! خفت عندما قرأت حكايتها، لأنّ الأساس في المسألة ليس هو كذبك على الزّوج، ولكنّه

يكمن فيك أنتِ، هل أنت قادرة على نسيان ماضيك؟ وذلك هو السؤال الذي كانت تطرحه تلك المرأة التي قرأت حكايتها.

تتحدّثين عن البغاء ... هل تمارسينه اليوم !

ــ أمارسه بطريقة حديثة إذا شئت، بمعنى أنّني لا أبحث أبدا عن زبون في الخارج، وإنّما أستقبل عددا محدودا منهم في بيتي بالموعد.
ــ كيف انتقلت إلى ذلك !
ــ هنا تكمن القصّة ! غدوت موظفة بإحدى الشركات، ولكنّ مصيبتي هي أن جمالي لافت للانتباه، ذات يوم حضر إلى المكتب رجل من الشخصيات المشهورة في المغرب، نظر إليّ بإعجاب، وحين مرّ عليّ وهو خارج من مكتب أحد المسؤولين عن الشركة، أبدى إعجابه بي، وناولني بطاقة زيارة وقال لي، بأنّه رهن إشارتي إذا ما احتجت شيئا. تركت البطاقة في حقيبة يدي ولم أفكّر في الاتصال به، ولكنّني بعد بضعة أيّام تلقّيت مكالمة من امرأة قدّمت إليّ نفسها وأخبرتني بأنها تعمل في إحدى شركات التصدير والاستيراد، وأخبرتني كذلك بأنّ فلان هو الذي أعطاها اسمي وطلب منها التّعرف عليّ.

تعرفت على المرأة، غدونا صديقتين، كانت تبدو عليها علامات الثراء، تعيش وحدها في شقة من 200 متر ذات طابقين. ذات يوم وجدت عندها الشخص المذكور فتعرّفت عليه وربطت علاقة معه. فوجئت أول ليلة قدم فيها عندي، عندما كان خارجا ناولني رزمة من الأوراق النقدية، عددتها فوجدت 5000 درهم ...

وهكذا ... بعدها بسنة لم أعد في حاجة إلى الوظيفة فقدّمت استقالتي ... مدخولي مرتفع جدّا ولا أحد يشك فيما أفعله بما في ذلك

عائلتي ... أستقبل بالموعد زبائن معدودين كل أسبوع ... وأوفّر كثيرا وأفكّر في شراء محل لبيع الملابس أو العطور.

ــ ما هو إحساسك وأنت تمارسين الجنس من أجل المال ؟

ــ صدّقيني لم أعد أحس بشيء على الإطلاق، غالبا ما أكون سكرانة عندما أمارس الجنس مع أحدهم، ولا أبحث عن الاستمتاع معهم ... لا أبحث عن ذلك إطلاقا ... أحسّ نفسي معذّبة. سرت في هذا الطريق دون أن أختاره، قذف بي زوجي إليه ... هل سبق لك أن رأيت زوجا يدفع بزوجته إلى البغاء ؟

بداية سنة 2000

ربيعة

كيف خرجت إلى البغاء ؟ تلك حكاية طويلة تعود إلى سبع سنوات، عمري الآن ثلاثون سنة، وحتّى سنّ الثالثة والعشرين كنت كباقي البنات "بنت دارنا" لا أعرف هذا الطريق ولا يخطر ببالي. إنّني من مدينة جبلية صغيرة، توفي أبي وبقيت مع أمّي وأخي في ألبيت، لم يدخلوني المدرسة، وحين سجّلني بها أبي وأنا صغيرة اعترض عمّي على ذلك، كان هو الأكبر وصرخ في وجه والدي بقوله "واش انتَ احمق ؟ غادي تخرّج بنتك للزنقة ! "إيه ... لم يكن يدري بأنّني ذات يوم سأخرج إلى الشارع الذي خاف منه عليّ لأنّني لم أتعلّم في المدرسة، لو تعلّمت لكنت إنسانة أخرى ولما كنت ما أنا عليه الآن.

كبرت في جوّ قاس، الكلّ كان يتحكّم في ويحصي حركاتي، أخي وعمّي وخالي، ضغطوا عليّ كثيرا وأكثر ممّا تتصوّرين. أخي عوّض أبي بعد وفاته وكان أقسى منه بكثير ولم يكن يتفاهم. ذات يوم لمحني وأنا أطلّ من السّطح، هرول مسرعا ولحق بي وضربني بعنف وهو يصرخ "واش باغيا تفضحينا قدّام الناس" ... تصوّري نفسك فتاة صغيرة محبوسة ليل نهار، حتّى الإطلالة السّريعة من السّطح تجلب لك الضّرب المبرّح الذي يترك آثاره على جسمك كلّه. أمّي ؟ وماذا بوسعها أن تفعل لي ؟ كنّا نتفاهم دون أن نتكلّم، كنت أحسّ بأنّها تشاطرني

الألم ولكنّها عاجزة عن الكلام أو الاعتراض، أخي كان رجل البيت وكان خيّاطا يعمل ليل نهار للإنفاق علينا، إلاّ أن قسوته معي لا توصف ... كنت أحيانا أسأل نفسي : لماذا يقسو عليّ بهذا الشّكل ؟ لقد كنت أخته الوحيدة ولم يكن لي أحد غيره، لحدّالآن لا أفهم السّبب، ولكنّه كان يخاف عليّ، ولو رآني اليوم أفعل هذه الأشياء لقتلني وأنا متأكّدة من ذلك.

جاء الفرج ذات يوم عندما زارتنا قريبة لنا تسكن مدينة الدار البيضاء كانت امرأة طيبة توفي عنها زوجها منذ سنوات، وكانت تخيط الألبسة التّقليدية، وأحيانا عندما يتراكم عليها العمل تأتي إلى أخي بالجلابيب لخياطتها، أقامت عندنا تلك المرّة أسبوعا، شكوت لها حالي ورأت هي بعينها حياة السجن التي أحياها، رجوتها أن تقنع أخي حتى أسافر معها، وقلت لها بأنّني مستعدّة أن أعمل أيّ شيء حتّى ولو اضطررت أن أشتغل خادمة في البيوت، المهمّ هو أن أخرج من ذلك البيت وتلك المدينة، حيث يقضي النّاس الوقت في النّميمة والكلام الفارغ ... والله العظيم ! والله العظيم ما فكّرت يوما في أنّني سأصبح هكذا.

جئت مع قريبتنا إلى الدّار البيضاء، كانت تسكن في المدينة القديمة، دارها من الدّور الكبيرة هناك ... في البداية كانت حنونة وعطوفة معي، وكنت أنا خدومة جدّا وفرحة بحياتي الجديدة التي لا أتلقّى فيها تعنيفا أو ضرباً، لم يكن هناك أحد يحصي عليّ سكناتي وحركاتي كما كان عليه الحال في دارنا، ولذلك عندما كنت أنتهي من الأشغال المنزلية، كنت أقف في النّافذة وأطلّ كما يحلو لي، وأتبادل النظرات مع ابن الجيران وأنا لا أصدّق نفسي.

مرّت شهور وأنا مع تلك المرأة، ذات يوم جاء أخي عندَنا، باغتنا صباح ذات يوم ونحن نتناول الفطور، كان يحدّق في ليعرف حالي وكيف أصبحت، كنت كما عهدني، المنديل على رأسي وأظافري متآكلة بفعل التصبين وغسل الأواني ... وكان كلّ مرّة يسألني "كيف دايرة ؟"، فأجيبه "الحمد لله، لا ينقصني شيء". غادرنا ومرّت على رحيله عدّة شهور وأنا مع قريبتنا. بدأت أملّ وأحسّ بالإرهاق، خاصّة وأنّها كانت تخيط طول الوقت، ولم تحاول يوما أن تعلّمني القبض على الإبرة، لقد شغّلتني كخادمة وذلك ما كانت تريده حتّى تنصرف هي إلى صنعتها. أخبرتها ذات يوم برغبتي في تعلّم الخياطة، فأجابتني بأنّها حرفة صعبة تؤذي العينين، ولا حاجة لي بها، وأنّ من الأفضل لي أن أتعلّم الطّبخ لأنّه سينفعني بعد أن يأتيني الله "بولد النّاس".

صمتُّ وظللت ساهمة ... فكرت في نفسي : هل يعقل أن أقضي حياتي هكذا ؟ إنّني أشتغل طيلة النّهار دون أن أتلقّى مقابلا منها وهي تعرف ذلك، فلماذا ترفض تعليمي الخياطة ؟ هل الطّبخ صنعة ؟ وماذا كانت تعرف هي في الطبخ حتّى أتعلّمه منها ؟ إنّها تطبخ الطجين والكسكس كباقي عباد الله ... هذا كل ما في الأمر!

ذات يوم قلت لها بأنّني أرغب في العمل لكي أحصل على قليل من المال أشتري به اللوازم التي تخصّني، صرخت في وجهي، قالت لي بأنّ لا شيء ينقصني معها، وأنّها فعلت خيرا وأنا جحودة لم أعترف لها به، حيث أنقذتني من الشقاء الذي كنت فيه، أعليت صوتي أنا الأخرى وقلت لها بأنّني على الأقلّ كنت في دارنا، ولم أكن أخدم أحدا غير أمّي وأخي، وأنّني لم أكن عريانة أو جائعة.

هدّدتني بأنّها ستبعث إلى أخي لكي تخبره بأمري، وإذا لم يأت هو لأخذي ستسافر معي لكي تردّ الأمانة إلى أصحابها. وجمت وتجمّد الدم في عروقي لأنّني أعرف أكثر من أي كان قساوة أخي وما سيدور برأسه إذا ما أعادتني إلى البيت، ومهما حكيت له لن يصدّقني وسيعتقد بأنّني اقترفت ذنبا يعلم الله مداه.

عدت إلى المطبخ وانصرفت إلى الأشغال، ولم أحادثها من بعد في الأمر حتّى لا تصبّ جامّ غضبها عليّ أو تقرّر ترحيلي.

من حين لآخر كانت تأتي إلينا امرأة تعيننا على التصبين عندما يكون كثيرا، كنت أقضي معها ساعات على السّطح نصبّن الأغطية أو الزرابي ... وعندما أتت تلك المرّة حكيت لها عن حالي وطلبت منها أن تجد لي عملا في أحد البيوت التي تعرفها، وعدتني خيرا واشترطت عليّ أن لا تعلم قريبتي بالأمر حتّى لا أتسبّب في قطع رزقها.

ذات يوم جاءت عندنا، ادّعت بأنّها مرّت على الباب وقرّرت زيارتنا، كانت قريبتي مشغولة مع زبونة لها فمكثنا معا في المطبخ، أخبرتني بأنّها وجدت لي أناسا طيبين يسكنون في حيّ آخر يرغبون في فتاة تشتغل عندهم، سألتها عن الثمن فأجابتني بأنّ عليّ أن أتدبّر أمري في ذلك.

صباح الغد جمعت أشيائي ولحقت بالمرأة في المكان الذي اتفقنا عليه، حملتني إلى أسرة اشتغلت عندها حوالي سنة، لم أكن أعرف شيئا ولم أتناقش في أجري مع ربّة البيت وهي التي اقترحت عليّ أن تعطيني 300 درهم في الشهر فقبلت. كانت امرأة طيبة حقا، رعتني واهتمت بأكلي وكسوتي، بدأت أتغيّر ولم أعد أضع المنديل على رأسي ... لاحظت بأنّ تصرّفات زوجها غريبة معي، كان يستغل كلّ فرصة

للمسي، ذات يوم كانت زوجته في العمل، عاد باكرا وفتح الباب دون أن أنتبه إليه، كنت حينها أغيّر للصغير ثيابه، فأحسست بذراعين تشدّانني، جفلت وصرخت وفوجئت بأنه رب البيت، شرع في تقبيلي فتملّصت منه وهدّدته بالصراخ وفضحه أمام الجيران إن هو لمسني فتراجع. بماذا شعرت ؟ كنت سأجنّ، لم أقبل بالأمر، لقد تربّيت في أسرة محافظة جدًّا فكيف أقبل بأن يلمسني رجل غريب ؟ جمعت حوائجي وارتديت جلبابي وجلست أنتظر ربّة البيت. فوجئت المرأة عندما رأتني على تلك الحال، سألتني فقلت لها بأنّني أرغب في العودة إلى دارنا، ألحّت في معرفة السّبب فلم أخبرها بالحقيقة ... ماذا كان بوسعي أن أقول ؟ هل أقول لها بأن زوجك هو السبب، هل ستصدّقني؟

بعدها اشتغلت كخادمة عند عدّة أسر، تعبت لأنّ من تشتغلين عندهم لا يعتبرونك إنسانا من لحم ودم، ولا يأبهون بحالك، المهمّ بالنّسبة إليهم هو أن لا تتوقّفي عن العمل وكأنّك آلة ... كنت حينها قد تعرّفت على فتاة كنت ألتقيها من حين لآخر في المخبزة، كانت تسكن مع أختها فاستدعتني لقضاء يوم الأحد معهم، استمرّ تعارفنا أكثر من سنة، معها بدأت أدخّن لأنّها كانت لا تتوقف عن التّدخين. عرفت بعد مدّة أنّها "تخرج" كل مساء، ومع ذلك استمرّت صداقتي بها ولم أفكّر يوما في مصاحبتها.

ماذا عن علاقتي بأسرتي ؟ كنت أذهب عندهم من حين لآخر وأحمل قدرا من المال والثياب لأمّي، كان أخي قد تزوج واكترى بيتا له ولزوجته، وحين كنّا نلتقي نسلّم على بعضنا كالأغراب ولا نكاد نتكلّم بعد تبادل التحيّة. إنّني من أسرة جدّ محافظة، وحين شاعت صديقتي

أن تسافر معي لرؤية أمّي طلبت منها أن ترتدي الجلباب، ولا تستعمل المساحيق على وجهها لأنّ وسطي لن يقبل بذلك. نحن من منطقة "اجبالة"، وأصحابها معروفون بتشدّدهم ومحافظتهم على التّقاليد.

ذات يوم جئت إلى صديقتي باكية بعد أن تخاصمت مع ربّة البيت التي أشتغل عندها، ظللت أبكي وأشكو لها محنتي فعرضت عليّ أن أخرج معها، وأخبرتني بأنّ بإمكاني أن أحصل في ليلة واحدة على ضعف الأجر الذي أشتغل به. كنت في الثالثة والعشرين من عمري وكنت عذراء لم يمسسني رجل من قبل، خفت من الفكرة لأنّها لم تخطر ببالي أبدا.

تحت إلحاح صديقتي ذهبت عند الحلاّق ولبست ثيابا أنيقة، إلا أنني رفضت الماكياج، ولحدّ الآن لا أستعمله ما عدا أحمر الشفاه الغامق. ذهبنا إلى أحد الفنادق الكبرى، جلسنا وطلبت صديقتي لنا البيرة، لم أكد أقرب الكأس، وكنت مبهورة بما أرى، إنه عالم غريب بالنسبة لي، لم أصدّق عيني وأنا أرى فتيات كثيرات يحطن بالرّجال ويتسابقن للفوز بهم. جلس قبالتنا شخصان تبدو عليهما سمة الثراء، لكزتني صديقتي وقالت لي بأنّ أحدهما ينظر إليّ، لم أنتبه إليه ولم أكن أدري كيف أتصرّف في تلك الحالة ... فكّرت في أمّي وأخي وعمّي، وأصبت بالرعب في داخلي ... ماذا سيحصل لو رأوني هنا ؟ تقدّم إلينا الشخص وطلب منّا أن نجالسه، أجابته صديقتي بالتّرحاب فانتقلنا إلى مائدتهم، طلبوا منّا إن كنا نودّ شرب شيء فاقترحت عليّ صديقتي أن أشرب البيرة. لم أستطع الكلام إلاّ بعد أن تجرّعت كؤوسا منها وكنت حريصة أن لا أسكر حتى لا أفقد بكارتي.

اقترح علينا الشخصان أن نذهب معهما إلى الفندق الذي يقيمان به، حجزا شقتين باسمنا فيه، وصعدنا جميعا وتعشينا في إحدى الغرف.

عندما بقيت وجها لوجه مع الرّجل لم أدر ما أفعل، ظللت ساهمة، كنت أودّ لو أنّ الأرض انشقّت وبلعتني، نسيت كلّما لقّنتني صديقتي إيّاه، إذا أوصتني بأن أطلب منه الفلوس قبل أن أنام معه، لم أفعل شيئا من ذلك، شرعت في البكاء واعترفت له بأنني عذراء رجوته أن لا يفتضّ بكارتي. استغرب الرّجل وأخبرني بأنّه لم يصادف قطّ فتاة في ذلك العالم مثلي، ونصحني بأن لا أدخله لأنّني لو دخلته لن أخرج منه قطّ. لم يلمسني، وفي الصّباح أعطاني 600 درهم دون أن يجرح كرامتي، إذ وضعها في حقيبة يدي.

هل تعرف أسرتي بما أفعل الآن ؟ طبعا لا، منذ أن أصبحت مومسا لم أزر أمّي أو أحدا من أفراد عائلتي، أحسّ نفسي كالمتّسخة وأحسّ بأنّني دون مستواهم ... تصوّري ! لم أر أمّي منذ سبع سنوات، ولعلّها لن تعرفني لو رأتني (بكاء !) لأنّني تغيّرت كثيرا، كان شعري طويلا وكنت ممتلئة الجسم محمرّة الخدّين، أمّا الآن فقد هزلت إلى حدّ يخيفني، أدخّن كثيرا وأحيانا أصل إلى علبتين من السجائر الأميريكية في اليوم الواحد، أشرب بدون حساب وكأنّني قربة مثقوبة، ولا أذهب مع زبون إلاّ بعد أن أفقد وعيي.

اكتسبت تجربة كبيرة في هذا العالم، إنّك تصادفين كلّ الأنماط والأشكال. غدوت أطلب أجري مقدّما دون أن أخجل، وأثور عندما يحاول أحدهم أن يخدعني.

أحصل على مال كثير، أخرج كل ليلة وقد ألتقي زبونا أو أكثر، ولكنّني لم أفلح في جمع شيء، هناك مصاريف كثيرة ترهقني، أودّي الكراء وفاتورة الماء والكهرباء والهاتف، أضيفي إلى ذلك مصاريف الحلاّق واللّباس والنقل ... آه ! نسيت السجائر، إنّني أدخّن المارلبورو، ونادرا ما أنتظر مجيء زبون لكي يقتني لي السجائر مثلما تفعل الكثيرات ممّن أعرفهنّ.

صديقتي جمعت مالا كثيرا، لها حساب بنكي واشترت دارا في المدينة التي ولدت بها. ما يسهّل عليها الأمر هو كونها تعيش مع أسرتها ... هل يعرفون بذلك ؟ طبعا ! وهل هم بلداء ؟ ومن أين تأتي بكل ذلك المال ؟ إنّها غالبا ما تذهب مع العرب القادمين من دول النّفط، أمّا أنا فلا أحتملهم. لماذا ؟ لأنّهم يحتقرونك ويعاملونك كحشرة ويعتقدون أن مالهم قادر على شراء كل شيء ... لهم الحق ! هل تدرين بأن معنا من يعرف زوجها بأنّها تمارس البغاء معهم ؟ هناك رجال يركبون سيّارات جديدة ويرتدون أغلى الثياب، وكلّ ذلك بفضل الزّوجة التي تمارس البغاء وتأتيهم بالمال ... هل هؤلاء رجال حقّا ؟ إنّني لست متزوّجة، لي أخ لو درى بما أفعل لقتلني ودخل السجن.

أخرج طيلة السّنة، وفي الصيف أربح مالا كثيرا ولكنّني لا أوفّر شيئا، الشهر الوحيد الذي لا أخرج فيه هو شهر رمضان، كيف أبيت على جنابة وأصبح صائمة ؟ تحاول المرأة التي أقيم عندها أن تقنعني بالخروج خلال هذا الشهر، ولكنّني أرفض وأعرف بأنّها تخشى أن لا أودّي لها ثمن الكراء اليومي، نعم ! إنّني أمنحها 50 درهم وأقتسم معها فواتير الماء والكهرباء والهاتف، وأتحمّل أغلب مصاريف الأكل والبيت ... إنّني أعرف بأنّها تستغلّني ولكنّها على الأقلّ توفّر لي مكانا نظيفا

أعود إليه كل ليلة، وتهيّئ لي الطّعام وتعتني بملابسي وتدعني أنام في هدوء.

كيف أتصوّر المستقبل ؟ والله لا أعرف ! ولكن بي حنين دائم إلى الأسرة والاستقرار، وهذا ما يجعلني أرفض السكنى مع الفتيات مثلي، إنّني لا أستدعي أحدا للبيت الذي أسكنه سواء تعلّق الأمر برجل أم امرأة. أودّ لو فعلت شيئا آخر في حياتي ... لو تعلّمت لكنت إنسانة أخرى، ولو بقيت في كنف أسرتي لما حصل لي ما حصل».

سنة 1998

عـائـشــة

عمري 26 سنة، لي سبع إخوة وأخوات أنا كبراهنّ، لا أحد يعمل من إخوتي الذكور، لي أخت تلازم البيت لمساعدة أمّي، أختي الصغرى لازالت تدرس وهي في قسم الباكالوريا.

نعم ! دخلت المدرسة ! ولكنني لا أتذكر ما تعلمته فيها، أصبحت أحسّ بأنّه زمن غابر جدّا، ذلك الذي كنت أحمل فيه محفظتي وأتوجّه إلى المدرسة ! ولا أكاد أعرف القراءة والكتابة الآن. درست حتّى قسم الشهادة ونسيت كلّ شيء. غادرت المدرسة تحت تأثير المشاكل العائليّة، كان والدي يتشاجر مع أمّي غالب الأوقات، وكان يضربها فتهرب منه إلى دار والديها، وأبقى معه فيطردني ويلحقني بها، وكنت إذا ما تكلمت يطلب منّي أن أغادر بيته فورا، وكم من مرّة أخرجني بالقوّة لأذهب عند أمّي في وقت متأخر من الليل.

أبي يعمل حارسا ليليا في إحدى الشركات، لا يعرف القراءة والكتابة، غير أنّه يعرف بعض الكلمات من الفرنسية. كان صعب الطباع وعنيفا، كثيرا ما يتخاصم مع أمّي ويقلب علينا البيت، لم نكن نرتاح أبدا، ولم أكن أهتمّ بالدّروس، فسقطت في الامتحان وطردت من المدرسة.

بعدها دخلت النادي لكي أتعلّم الخياطة والأشغال اليدوية ... كنت أرى أمّي تقاسي من العذاب والتّعب، كانت امرأة طيبة جدّا لا تفوه بالسوء وتكتفي بالبكاء. عندما وضعت أخي الصغير ضربها أبي في فترة النّفاس، فأصيبت بمرض كادت أن تفقد من جرّائه حياتها، ولم يعد هناك من يعتني بالبيت، ولذلك اضطررت مرّة أخرى إلى مغادرة النّادي لكي أرعاها بصفتي أكبر بناتها، أقمت في البيت حوالي سنتين ثمّ دخلت إلى معمل لتعلّم الخياطة، ولكنّني لم أكن أجد ما أسدّد به الشّهر، فانقطعت عنه. تحمّلت الكثير ! غدت كسرة الخبز التي يأكلها كلّ منّا مرّة وغدا البيت جحيما ! ...

ذات يوم خرجت ولم أعد، قاطعت أسرتي خلال ثلاث سنوات كاملة ! لم أكن أعرف الدّنيا، ولم أكن أدري إلى أين أتوجّه، التقيت بفتاة وأقمت معها في غرفة كانت تسكنها، إلى أن تعرّفت على الدّنيا واكتريت أنا الأخرى غرفة.

كنت ألتقي بالزّبائن في المقهى أو في الشارع، لم أخرج قط مع الأجانب، ثمن كل ممارسة جنسية كان يختلف حينها من رجل إلى آخر. حين بدأت أخرج، كان أجري غالبا حوالي 25 درهما، ومن كان كريما معي يمنحني 50 درهما. ولم أكن آتي بهم إلى الغرفة التي أسكنها، بل أرافقهم حيث يشاؤون ...

بعد ثلاث سنوات من مغادرتي لبيتنا، علمت بأنّ أمّي تقاسي كثيرا من غيابي، وبأنّها تكاد تجنّ لأنّني أنا التي كنت أعطف عليها وأشاطرها الألم ... حينها، طلبت من امرأة محترمة كنت أعرفها أن تتوسط لي عند والدي الذي سبق وأقسم بألا أعود إلى البيت، التقيت مع والدتي وحدّدت معها موعدا لعودتي. لقد خافت من دخولي

وحيدة على أبي وردود فعله، فطلبت من بعض الجيران أن يحضروا إلى البيت في الموعد الذي حدّدناه، حتّى لا يتكلّم ويقيم الدّنيا ويقعدها. حين دخلت وجدته جالسا فسلّمت عليه، قبّلت رأسه ويديه فلم يكلّمني ... جلست المرأة التي رافقتني وتحدّثت إليه، وادّعت بأنّني كنت أشتغل عندها خلال هذه المدّة، وأنّ الخوف هو الذي منعني من العودة إلى البيت.

تصالحت مع أبي وأقمت في البيت مدّة ستة أشهر تقريبا، وكنت أخرج دون أن يعترض على ذلك.

ذات يوم التقيت مع فتاة كنت أعرفها، واتفقنا على أن نسافر إلى مدينة صغيرة حيث لا يعرفنا أحد ونقيم بها. وفعلا ذهبنا وأقمنا عند امرأة تمتلك بيتا للدّعارة هناك قبل أن أكتري بيتي الخاصّ، كانت هذه المرأة تتجاوز الخمسين من العمر، وكانت تستقبل في بيتها فتيات كثيرات تتفاوت مدّة إقامتهنّ عندها. ولم أكن أتجاوز عندها الأسبوع أو الأسبوعين ... كانت تسرقنا ! وكانت طريقة التّعامل بيننا هي أن نعطي النصف ممّا يعطيه كل زبون، بالإضافة إلى 15 درهما كمصاريف للإقامة والأكل والخدمة كل يوم، وبالتالي مثلا كنت إذا أعطاني أحدهم 50 درهما لا أخذ منها إلا 10 دراهم، زيادة على أن أجرى كان يظلّ عندها حتّى اليوم الذي أغادر فيه منزلها ... وغالبا ما كانت تتحايل لتبتزّ منّي قدرا منه.

ظلت علاقتي بأسرتي مستمرة حيث كنت أسافر وأجمع قدرا من المال وأعود به إليهم، لأن والدي تخلّى نهائيا عن واجبه في مصروف البيت، لم يعد يمنح أمّي وإخوتي ولو ريالا واحدا ... حتّى أجر الحمّام لا يعطيه لهم، وأنا التي أتحمّل كلّ مصاريف البيت الآن.

فعلا ! لقد كان أبي قاسيا جدّا ولازال ! ومع ذلك قَبل بأن أصرف عليهم ... لقد غدت المسألة عادية بالنّسبة إليه ! إنّه يعرف بأنّني أمارس البغاء، وأختي مثلا تطلب منه أجر الحمّام فيرفض وتسأله : «هل تريد مني أن أخرج إلى الشارع ؟» فيجيبها : «اخرجي أو اقعدي، افعلي ما شئت بنفسك، فالأمر لا يهمّني بتاتا ... » ويراها وهي تحمل حوائج الحمّام وتستعدّ للخروج ولا يسألها من أين حصلت على الفلوس أو من أين أتت بها، وكان عليه فعلا أن يعرف مصدرها لأن البداية سهلة جدّا والانزلاق سريع، لم يعد يصرف شيئا أو يسأل أحدا ولا شيء غدا يهمّه ... إنّه يخرج من البيت ويعود إليه، والأهمّ لديه هو أن يجد ما يأكله ... إنّني لا أعطيه شيئا ولو فعلت ذلك فإنه لن يصرف عليهم شيئا.

حين كنت في التاسعة عشرة من عمري، كان يقيم معنا شاب تربطه علاقة قرابة بوالدي، أخبرني برغبته في الزّواج منّي، فأجبته بأن لا رأي لي في الأمر، وبأنّ عليه أن يطلب يدي من والدي، وفعلا وافق والدي خاصّة وأنّ الشاب ضمن له بأنّه سيتحمّل كل النّفقات، فقبل والدي لأنّ ظروفه المادّية كانت سيئة جدا ... وبعد حوالي ثلاثة شهور، تغيّرموقفه ورفض زواجي من ذلك الشاب وطلب منه أن يغادر البيت دون أي يبدي سببا معقولا ...

لقد غادرت البيت سنة 1981، وكان عمري يومها 22 سنة، وبعدها بحوالي سنتين تزوجت فعلا ولكن دون عقد ! والذي حصل هو أنّني التقيت في المدينة التي أقيم بها بشاب يمتهن الجندية، وعرض عليّ الزواج فأتيت به إلى والدي، ولكنّ هذا الأخير رفض ولم يقبل مساعدتي على إتمام العقد. سافرت مع الشاب إلى المدينة التي يقيم فيها

والداه وأقمت معهما، وعاد هو إلى مقرّ عمله وظلّ يتردّد علينا في الإجازات إلى أن أكمل مدّة التجنيد، وقرّر أن يستقرّ ويحترف التجارة.

لقد نسيت حياتي الماضية ... نسيت الشارع والخروج وكل شيء، وعدت أحترف من جديد التطريز وأشغال التريكو ... إلخ. لم أكن أطالبه بشيء، وكنت أصنع أشياء صغيرة من الصوف، وأدفع بها إلى والده ليبيعها حتى أضمن مصاريف الحمّام واللباس ... وكان هو قد تغيّر كثيرا، لم يكن يتصرّف كإنسان يريد بناء مستقبله ولم يكن يهتمّ بشيء ... وحين أعترض على تصرّفاته كان يصرخ في وجهي : «إذا لم تكوني راضية فعودي من حيث أتيت !» ... احتملت كثيرا وعندما تأكدت بأن لا مستقبل لي مع ذلك الشخص، أرسلت إلى أمّي كي تعاين وضعيتي، ولا تتهمني بالرّغبة في الخروج من جديد ورفض الاستقرار. عادت إلى أبي وأخبرته بالأمر، وارتاح له لأنّه لم يكن يرغب في أن أتزوّج، فاقترح عليها أن تبعث إليّ لكي أعود إلى البيت ... وهكذا عدت من جديد، لقد كان ذلك الشابّ يعرف وضعيتي، ولكنّني معه لم أقترف إثما قط، نسيت كلّ شيء فعلا وتغيّرت تغييرا كاملا ... في البداية لم تكن معاملته لي سيئة، عندما أقمت معه في بيته غدا يسبني وأحيانا يضربني حين أحتج على سلوكه ولا مبالاته، كان يصرف الربح القليل الذي يحصل عليه في السينما والنزهة ... كنت أبكي وهو يسبّني ... وعندما عدت لم يلحق بي أبدا.

عدت إلى الخروج من جديد، والتحقت بالمدينة الصغيرة، اكتريت شقة تتكوّن من غرفتين ومراح ومرحاض ب 600 درهم للشهر أقيم فيها مع فتاة أخرى. هناك يأتي عندي الرّجال كل ليلة ... إن مدخولي في أحسن الحالات يصل إلى 150 درهم أو 200 درهم، وفي أسوئها لا يتعدى 50 درهما لليلة الواحدة، وطبعا حين يأتي أحدهم نتفق على

الثمن قبل كل شيء، وقد يصل مدخولي الشهري إلى 3000 درهم، وأنا لا أحتفظ بشيء لنفسي، وحين يتوفر لي قدر من المال أبعث به إلى أمّي ما دام أبي لا يصرف شيئا، ولذلك قد أبعث إليها 200 درهم أو 250 درهما أسبوعيا ... في الماضي كنت قد وفّرت مالا واشتريت ثلاث أساور ذهبية ... كان أبي بحاجة إلى المال كي يكمل بناء المنزل، وظل دائما يردّد أمامي بأنّه خائف من أن يستدين ولا يقدر على الرد ... ذات يوم سلمته الأساور ليبيعها ... وبعدها بحوالي أسبوع ضربني وأنكر أن أكون قد أعطيته إيّاها ...

هل أفكّر في المستقبل ؟ نعم ! خلال الأيّام الأخيرة بدأت أخاف وشرعت في توفير قليل من المال لمواجهة الظروف، لقد مللت فعلا هذه الحياة ! ولكنّني حين أرى عذاب أمّي وإخوتي وخاصّة منهم البنات أقول في نفسي : إنّ التّضحية من أجلهم أفضل من تحمّل العذاب معهم وعدم التمكن من مساعدتهم ... من الأفضل لي أن لا أقيم معهم وأفعل كل ما في وسعي للتخفيف عنهم ... إنّني أعرف نساء كثيرات "يخرجن"، منهنّ المطلّقات اللائي ينفقن على أطفالهنّ، ومنهنّ من تساعد أسرتها مثلي، ومنهنّ من تخرج لمجرّد المتعة والرّغبة في اللهو. وحين نجتمع ونتصارح تعترف كل واحدة منّا بأنّها تعبت من هذه الحياة، وبأنّها تحلم بالتغيير في المستقبل ... هناك من تحلم بامتلاك صالون حلاقة. وهناك من تقول بأنّها ستجمع المال الكافي وتعود إلى حرفتها أي الخياطة وتفتح محلاّ ... ولا سيّما خلال المدّة الأخيرة ! ذلك أنّه لم يعد بإمكانهنّ التفاهم مع أحد نظرا لانتشار الغش والسرقة.

علاقتي مع الرّجال ؟ إنّني ألتقي مع كلّ منهم وأتودّد إليه حتّى تمرّ ساعته بسلام وبدون مشاكل، مخافة كلّ ما من شأنه أن يثير الشجار وتدخل الشرطة. إنّ أغلبية الذين يأتون إليّ متزوجون ومنهم من يصرّح

بذلك، ويبرّر خيانته لزوجته بأنّها لا تمنحه وقتا أو اهتماما، وسواء لديها أ حضر أو غاب !

طبعا ! إنّني لا أحسّ بشيء عندما أنام مع أحدهم، خاصّة وأنّ الشخص يتغيّر كل ليلة بل كلّ ساعة ! فكيف يمكنني أن أحس بهم ؟ إنّني أتصل أحيانا بخمسة رجال في اليوم، وقد يعطيني كلّ منهم 50 درهما أو 60 درهما أو 100 درهم.

نعم ! إنّني أخاف فعلا ! أخاف أن أسجن وتعرف عائلتي بالخبر ! إنّ أبي مدرك أنّني أخرج ولكنّنا لم نتحدّث قط بهذا الشأن ! أما جيراننا فلا أحد منهم يعرف ما أفعل، وكلّهم يعتقدون بأنّني متزوجة في مدينة أخرى ... ذات يوم ذهبت إلى إحدى المقاهي وطلبت فنجان قهوة، دخل رجال الشرطة وقبضوا على كل البنات الموجودات في المقهى، وحوكمت وسجنت لمدّة شهرين بتهمة الفساد، بعدها قرّرت أن لا أبقى هنا مادمت غير متزوّجة، وأن أستقر في مكان آخر.

إنّني مرتاحة هناك، أقيم في بيتي، وإذا شئت أغلقت الباب في وجه كل قادم دون أن يحاسبني أحد على ما أفعله ... نعم ! إنّني أخاف دائما ولكنّني أتخذ كل احتياطاتي !

لا أحبّ هذه المدينة الكبيرة وأخاف منها ! ثمّ أين تجدين فرصتك فيها ؟ حتّى البنات الصغيرات "يخرجن". تصوّري بأنّني البارحة اضطررت إلى الخروج لأنّني لم أعد أملك شيئا، ذهبت مع أحدهم إلى دار لأحد أصدقائه، ماذا وجدت ؟ كانت هناك فتاة تقيم مع هذا الرجل منذ ثلاثة أشهر، هجرت أسرتها ومكثت معه ثلاثة أشهر كاملة، وهي تكنس له وتطبخ وتغسل ثيابه وتنام معه دون أن يعطيها ثمن الحمام ... لو رأيت هذا الرّجل لتقزّزت منه، إنه كـ "صعصاع"، ومع ذلك قدمت

فتاة صغيرة لتسأل عنه، وعندما سألت عن أمرها أخبروني بأنّها تأتي أحيانا لتدخّن وتسهر وتقضي الليلة ثمّ تعود إلى أهلها ... كيف تتصرّف معهم ؟ الله أعلم ! المهمّ أنّنا سهرنا، وفي الصباح كنت مريضة ومتعبة، والأفظع أن الرجل الذي اصطحبني لم يعطني شيئا وطلب منّي أن ألحق به في المقهى حيث يعمل، وحين لحقت به قال بأنّه أعطى زوجته القدر الذي حصل عليه، وطلب منّي أن أعود إليه مرّة أخرى.

لو اقترح عليّ عمل ما ! هل سأعمل طبعا ولم لا ؟ لقد تعبت من التسكع في الشوارع ... تعبت كثيرا ! تصوّري بأنّني أخرج منذ سنة 1981 ؟

إنّني لازلت أفكر في الزواج ! ليس هناك شيء أفضل من الاستقرار والارتباط برجل ... هناك فرق كبير بين أن تكون المرأة متزوّجة وأن تكون في الشارع بدون قيمة، وكلّما خرجت إلا وأشارت إليها الأصابع ...

أغلب الذين يأتون عندي يعرضون عليّ الزواج حين تدور الخمر برؤوسهم، ولكنّهم في الصباح يتهرّبون من مجرّد الإشارة إلى ذلك ... آخر من عرض عليّ الزواج رجل متزوّج ... قال لي بأنّه ألفني لكثرة ما تردّد عليّ ولذلك يريد الزواج بي، فأجبته بأنّني متفقة، ولكنّه اشترط عليّ أن أعطيه مليون سنتيم مقابل ذلك ! ضحكت ... لو كان لدي هذا القدر لما احتجت إلى تحمّله وتحمّل آخرين غيره، الأحمق ! ظنّ بأنّني سأشتريه واعتقد بأنّني في هذا -الميدان- سأكون مستعدّة لشراء الزّوج بأي ثمن !

سنة 1985

رشيدة

دخلت المدرسة عند ما كنت صغيرة، غادرتها بعد أن سقطت عدّة مرّات في الشهادة الابتدائية.

بعدها أصرّت أمّي على أن أدخل المعمل لكي أتعلّم الطّرز والخياطة ولكنّني لم أستمرّ طويلا.

لي أب وأمّ، ونحن خمسة : ثلاثة أولاد وبنتان. أبي حارس بالبلدية وأمّي ربّة بيت، كنّا نسكن دارا صغيرة بها غرفتان ومطبخ. لا أحد من إخوتي توفق في دراسته وكلهم عاطلون الآن. أبي لازال يعمل وأجره هزيل جدّا حيث أنّه يتقاضى حوالي 700 درهم، عدا أنّه لم يعد يحصل على تعويضات عن جميع الأولاد لأنّهم تجاوزوا السن المفروض ... (صمت) ماذا بإمكان 700 درهم أن تفعل لهم في هذا الزمان ؟

ماذا حصل لي بعد أن خرجت من المعمل ؟ الذي حصل هو أنّني كنت على علاقة بشاب من أبناء مدينتنا، كنت أحبّه حقا، كلّ ما قاله لي صدّقته بعقلي الصغير آنذاك. إنّه السبب فيما حصل لي، رزقت منه بولد، كان يمنيني دائما بالزّواج، ودائما يقول بأنّنا سنتزوّج في السنة المقبلة، تلك السنة التي لم تأت أبدا. غدوت حاملا وحين وصلت شهري السادس انتفخت بطني وغادرت المدينة. كنت في الثامنة

عشرة، وكان ذلك الشاب يعمل في البحر... في مركب صيد يملكه أبوه. عرف والدي بالأمر ولم يحاول فعل شيء أو متابعة الشاب قانونيا خوفا من الفضيحة في مدينة صغيرة. غادرت المدينة وذهبت عند خالتي في الدّار البيضاء حتّى أضع ما في بطني.

بعد الوضع بدأت "أخرج"، لم أكن أملك ما أعيل به الولد، والمشكل ليس في الولد وحده بل في أسرتي كذلك. يقيم ابني الآن مع امرأة أؤدّي لها 400 درهم شهريا، أزوره مرّة كل أسبوع، عمره الآن خمس سنوات وأنا في الثالثة والعشرين. بعد ذلك عرف والداي بأنّني وضعت ورأوا ابني. لقد سجّلته في الحالة المدنية باسمي لأنّ أباه لا يريد الاعتراف به قانونيا، رغم أنه يعرف حق المعرفة بأنّه ابنه. لقد تزوّج من بعد ولم يرزق بأطفال، أراه عندما أزور أسرتي ولا أكلّمه أو يكلّمني.

بدأت "أخرج"، في أوّل الأمر كنت ألتقي برجل مغربي هنا وهناك، ولم أكن أحصل على ما يكفيني من المال، بعدها تصادقت مع إحدى الفتيات وبدأت تصطحبني معها فنخرج سويّا. أتصل خاصة بالوافدين العرب الذين ألتقي بهم في المقاهي أو النوادي الليلية.

أخرج كل ليلة ولا أعرف أبدا مع من سأقضي ليلتي، وحين أصادف أحدا يرغب في أن أذهب معه، أحصل أحيانا على 500 درهم أو 400 أو 300، وأحيانا يصل أجري إلى 1000 درهم، واليوم السيء هو الذي أحصل فيه على 200 درهم فقط. نتفق مسبقا على الثمن عندها أذهب معه إلى حيث يقيم سواء في فندق أو ڤيلا مثلا. قد أذهب معه وحدي إذا كان وحيدا، أمّا إذا كان مع أصدقائه فنكون جماعة من الفتيات، ولذلك فالظروف تختلف، أخرج يوميا ولكنّني لا أتدبّر أمري كلّ يوم، وإذا حصل ووجدت زبونا رسميا أقيم معه خمسة

عشر يوما أو عشرين يوما أو أكثر، آنذاك أكون قد تدبّرت أمري جيّدا ويمكنني أن أستريح بعدها بضعة أيام. وحين أقيم هذه المدّة آخذ أجرتي كاملة عن كلّ ليلة حتّى ولو اتفقنا على 1000 درهم، وإذا تفاهمنا قد يعطيني ما تبقى له من أوراق نقدية مغربية قبل سفره.

هل أزور طبيبا اختصاصيا في أمراض النساء ؟ نعم ! ولكنّني لا أذهب إليه إلا إذا أحسست شيئا غير طبيعي، مثلا عندما أعاني من ألم في جهازي التناسلي أو من تأخير في الدورة الشهرية. أذهب إليه فيُعطيني دواء وأستعيد صحّتي. عندما أزور الطبيب أتوقّف عن الخروج خلال المدّة التي يستغرقها العلاج، لا أزور الطبيب إلاّ إذا كان هناك داع لذلك ولا أقصده مطلقا لمجرّد الكشف علي ، ليس بإمكاني مطلقا معرفة ما إذا كان الرجل الذي أتصل به مريضا أم لا ... هل تخيفني المسألة ؟ ... لا، لو خاف أحدنا من الآخر ماذا سيحصل ؟ الزبائن أيضا يخافون (صمت) ولكنني حين أصبت بهذا المرض أي بالميكروب الذي أصاب دمي لم أعر الأمر اهتماما، ظللت مستمرّة في عملي حتى ظهرت أعراضه على جلدي، آنذاك، عرفت بأنّ الأمر يتعلّق بداء خطير فانقطعت منذ سنة ولازلت أتابع العلاج الآن، أخبرني الطبيب بأنّه داء الزهري ... لم أكن أدري به ولذلك تركت البغاء. لم أكن أعرف بأنّه خطير إلى هذا الحدّ. الطبيب هو الذي شرح لي. قال لي بأن عليك أن لا تتصلي بأولائك الرّجال لأنّهم جميعا مصابون بهذا المرض، وإذا ظللت مستمرّة فإنّك لن تعالجي ... قال لي أشياء كثيرة أخرى، وقد عرف بأنّني أخرج، سألني فحكيت له كل شيء. لا يمكنك أن تكذبي على الطبيب.

انقطعت منذ سنة، كم أدّيت ثمنا للعلاج ؟ ... لقد خسرت حوالي 1700 درهم مقابل الدّواء و 800 درهم في التحليلات، ولكنّ ما

حصل هو أنّني بدأت العلاج ثمّ تخليت عنه ولذلك لم أقض على جذر المرض، وحين انقطعت عن أخذ الدواء عاودني المرض ... إنّه يستمرّ كما قال لي الطبيب.

حين أعود إلى طفولتي أتذكر بأنّ حياتي في الأسرة كانت عادية، ولكن حين كنت أرغب في شراء شيء لم أكن أجسر على التصريح به لأنّني كنت أعرف بأنّ إمكانيات والدي محدودة، لم أكن أجسر على طلب شيء، كان الطعام متوفّرا ولم نكن جائعين. ما هي رغباتي آنذاك ؟ كسوة جميلة مثلا ... حذاء ... أشياء كثيرة تتمنّاها كل فتاة تودّ أن تكون جميلة وأنيقة.

أحصل على ما يكفيني من مال وأكثر ... أعطي للمرأة التي تكفل لي ابني القدر المتفق عليه، وأشتري كلّ ما يحتاج إليه، أحاول أن أعوّضه الكثير من الأشياء التي حرمت منها في طفولتي، ولذلك لا أتوقّف عن شراء اللعب إلى حدّ أن المرأة التي تعتني به قالت لي بأنّ بيتها صغير وأنّها غدت تضيق باللعب لكثرتها ... كم أقضي معه من الوقت ؟ أزوره كلّما أتيحت لي الفرصة، ولكنّني لا أستطيع الذّهاب إليه كلّ يوم لأنّ الحيّ الذي يقيم فيه بعيد، ولأنّني غالبا ما أسهر ليلا وأستيقظ متأخّرة.

أبعث بقدر مهمّ من المال إلى أسرتي ... إنّني أرسل إليهم شهريا 4500 درهم، ولكن أبي يستأثر بهذا القدر ولا يصرفه على الأسرة، إنّه يتعاطى شرب الخمر يوميا ويلعب القمار ويخسر كل ما يحصل عليه، ولا يكاد يعطي أمّي شيئا ممّا أبعث به. إنّ أمّي لا تحصل على المال وهو يبعثره في الخمر والرّهان على الخيول، ولذلك استبدلت خطّتي، أصبحت أبعث بالحوالة لأمّي وهي تعرف كيف تصرفها، قد تشتري

أشياء يحتاجها البيت كالأثاث مثلا، وقد تساعد في مصروفه وتعمل على تحسين مظهره ومستوى غذاء إخوتي ولباسهم ... إلخ.

لا أدّخر مالا وما أحتفظ به لنفسي، أصرفه بين الحمّام وصالون الحلاقة والملابس، ثمّ إنّي لا أعرف ما أفعله بالمال، المهمّ أن أعيش حياة لا ينقصني فيها شيء. كان لي بعض الحلي من الذهب، بعته حين فاجأتني أزمة المرض، وقد أشتريه إذا أراد الله ذلك مرّة أخرى. هل أفكّر في المستقبل ؟ أفكّر فيه حقا ... ولكنّني لا أدري ما أفعل، لم أجد شيئا يضمن لي مستقبلي بعد.

لي عدّة صديقات، وغالبا ما نخرج سويا، عندما مرضت أقمت في البيت الذي أكتريه بـ 700 درهم شهريا، لا أستقبل أحدا في بيتي لأنّني لا أستطيع ... لا أريد أن يأخذ عنّي أحد في الدّرب صورة سيّئة (تنهّدات !) هناك فتيات يحصلن على مال وفير حقا ولا يفعلن شيئا، وهناك من يعرفن كيف يتصرّفن، حتى ولو كان مدخولهنّ أقلّ منّي يدرين كيف يستثمرنه، لكنّ الأغلبية من نوعي لا تدّخر شيئا ... الفتيات القديمات هنّ اللائي استفدن فعلا وتمكّن من جمع الثروات. أما خلال الفترة التي "خرجت" فيها أنا، فلم تعد إحداهنّ تتمكن من جمع مال وفير لأنّ الوافدين الأجانب قد تغيّروا كثيرا، وعندما تجلسين مع أحدهم كأنّك مع رجل مغربيّ، أي أنّهم لم يعودوا يدفعون الكثير وصاروا يتحاسبون مع الفتيات، ولا يفون بوعودهم، ويعود ذلك إلى أنّ أغلبهم تعرّف على المغاربة الذين لهم صلة بهذا الميدان، صاحب دار أو سائق سيارة أجرة أو وسيط، يعلّمهم كيف يتصرّفون ويدلّهم على أثمنة البنات وكلّ شيء ... وعندما يعودون مرّة أخرى يكونون على دراية بكل شيء.

عندما تعود الفتاة ليلا حاملة للمال الذي حصلت عليه تكون خائفة، تخاف الشرطة أو أن يعتدي عليها أحد، هناك شرطة خاصّة بالبنات، وإذا ما قبضوا عليك تكون المصيبة، إذا قبض عليها شرطي عادي أو غيره فليس هناك مشكل، أمّا إذا كان من الشرطة الخاصّة بالبنات فغالبا ما يصحبها إلى مركز الأمن، وتبقى هناك ثلاثة أيام حتى تقدّم إلى المحكمة وتخضع للبحث، أين كنت ؟ من أين جئت ؟ مع من ؟ وإذا لم تجد من يساعدها فإنها تحاكم وتسجن 3 أشهر أو 6 تبعا لحالتها ... هل سبق أن ألقي عليها القبض أم لا ؟

هل أحبّ أحدا الآن ؟ نعم ! هناك شاب أحبّه ولي علاقة به خارج إطار - الفلوس- ، إنّه يعمل ويعرف أنّني أخرج ... لا رأي له في المسألة لأنّ كلاً منّا يتسلى مع الآخر، هذا كل ما هناك. ألقاه مرّة كلّ عشرين يوما لأخرج معه، لو شئت لالتقيت به كل يوم ولكنّني لا أفعل ... إنّه لا يصرف عليّ وبالمقابل لا أصرف عليه ... ولكن إذا حصل وقلت بأنّني أحتاج 100 درهم أو 50 درهما يعطيني إيّاها. وقد يهديني كسوة أو حذاء، يعني أنّه لطيف وتصرّفاته معي إنسانية. إنّه غير متزوّج ولا أطمع في الزّواج منه لأنّه ليس من النّمط الذي يمكن أن أرتبط به في علاقة زواج. إنه لا يكلمني في هذا الموضوع وأنا كذلك، إنّه شابّ لم يتزوّج بعد ولا يمكنني أن أعترض طريقه.

كل صديقاتي لهنّ علاقة من هذا النوع، كل منهنّ تحبّ رجلا واحدا، أمّا الآخرون فيخرجن معهم لسبب آخر غير الحبّ. علاقتي بالرّجال تهدف إلى "الفلوس"، وأنا مستعدّة أن أذهب مع من يعطيني أكثر.

شعوري عندما أسلّم نفسي لرجل لا أبادله الحبّ وليست لي به علاقة أو معرفة ؟ لا أحس به مطلقا (صمت) ... كل ما هناك أنّه يعجب بي في مكان من الأمكنة التي أرتادها فيكلّمني ويعرض عليّ الذّهاب معه إلى مكان محدّد، وبعدها نتفاهم ونذهب سويّا.

بعدما مرضت لم أعد أخرج، غدوت عاملة في صالون حلاقة وعليّ أن أتعلّم الحرفة. تعطيني صاحبة الصالون 400 درهم شهريا، وتزيدني على القدر وتؤدّي عنّي الكراء وتساعدني كثيرا.

لماذا تفعل ذلك ؟ كنت زبونة لديها وعرفت بمرضي فعرضت عليّ العمل في صالونها وقالت لي : إذا سمعت بأنّك خرجت سأبلّغ عنك (ضحك !!). عندما رأيت ما فعلت معي قلت لنفسي بأنّ عليّ أن أنسى حياتي السابقة، وأن أحاول الاكتفاء بمدخولي المحدود في الصالون وأعيش به. صممت على ذلك لأنّ هذه المرأة أنقذتني وقالت لي بأنّك أصبت هذه المرّة بمرض قد تشفين منه، ولكنك قد تصابين مستقبلا بسرطان لا ينفع معه علاج.

لم أبعث نقودا إلى أسرتي، أمّي تفهّمت المسألة، أمّا أبي فإنّه يكلّمني هاتفيا باستمرار ويقول بأنّنا في حاجة إلى المال ... أجبته بأنّني مريضة ولا أملك شيئا وليس بمقدوري الحصول على ريال واحد.

لو تخاصمت مع هذه المرأة ؟ ماذا سيحصل ؟ أحاول أن لا يقع ذلك. إذا حصل ووقع قد أتعلّم حرفة الحلاقة وأغيّر الصّالون. إذا فشلت قد أعمل عملا أعتمد فيه على نفسي ولن أعود إلى هذا الطريق. لقد قضيت بها عدّة سنين وليس لي فيها مستقبل، حصلت على مدخول

كبير لم أفعل به شيئا... هناك فتيات كثيرات استفدن منها ولكنّني أنا لم أستفد شيئا ... أعطتني المرض والمشاكل ... كل ما ربحته أدفعه في الدّواء والعلاج، لم أحقّق شيئا لنفسي.

هل أحلم بالزّواج مستقبلا ؟ إذا شاء الله يمكن لي أن أتزوّج ... أتمنّى ذلك ولكنّه بإذن الله، لا أدري مشيئته. كلّ صديقاتي سئمن هذه الحياة، تشكو إحداهنّ من التّعب والأخرى من المرض، وقد تقول ثالثة بأنها لم تعد تستطيع الخروج وأنّها مرغمة على ذلك لأن ابنتها تحتاج الحليب أو الدّواء، وقد تقول أخرى بأنّها تخرج يوميّا ولا تحصل على شيء ... كل واحدة منّا تشكو همّها للأخريات.

لماذا يخرجن ؟ أغلبيتهنّ مدفوعات بالحاجة ... هناك الفتاة الفقيرة التي تختار هذا الطريق قبل الزّواج لكي تنقذ نفسها وأسرتها من الفاقة، ومنهنّ من تنتقل إلى مدينة أخرى حتّى لا تعرف، هناك فتيات عانين من السيطرة المطلقة عليهنّ في الأسرة من طرف الأب والإخوة ففضّلن هذا الطريق، وهناك من سبق لهنّ أن تزوّجن وطلّقن ولهنّ طفل أو إثنان ... أغلبهنّ أمّيات، وبعضهنّ وصلن حتّى قسم الشهادة الابتدائية، وهنّ لا يتقنّ أية صنعة.

أغلبية الأسر تعرف بأنّهن يخرجن ليأتينها بالمال، والأسر تختلف في سلوكها مع الفتاة، هناك أسر تسيء معاملة البنت التي تخرج إذا عادت بدون فلوس. كل الفتيات تعوّدن على مدخول كبير، ولو وجدن عملا يعطيهنّ نفس المدخول لتخلين عن الخروج، لأنّ كلاِ منهنّ مضطرّة إلى إعانة أسرتها وشراء الملابس وما تحتاجه، وتأدية الكراء وتلبية حاجات أطفالها إذا كان لها أطفال.

ما أودّ قوله في النّهاية، هو أنّ كثيرا من الفتيات تزوّجن من هذا الطريق ... قد تصادف الفتاة أجنبيا يعجب بها فتتفاهم معه ويعرض عليها الزّواج. قد يكون متزوّجا في بلاده من واحدة أو اثنتين أو أكثر، وقد يتفاهم معها ويحملها إلى بلاده. وهنّ يعشن حياة هنيئة هناك، يتمتّعن في بيوتهنّ ويبعثن بالمال إلى أسرهنّ، وقد تمكّن إحداهن والديها من أداء فريضة الحج ... لكنّ الأغلبية لا تصادف هذا الحظ.

إن الدّافع إلى هذه الوضعية هو الفقر، وإذا ما تجاوزت المرأة سن الشباب فإنّها قد تستبدلها وتعمل عملا ما ... أمّا إذا كانت شابّة وأحسّت نفسها جميلة فإنها لن تعمل حتّى لو عرضت عليها مئة مهنة، لأنّها ستقول بأنّ ما قد أحصل عليه في شهر بإمكاني الحصول عليه في ليلة واحدة، فلماذا أشقى ؟ عندما تصل المرأة إلى سنّ الثلاثين تفقد مظهرها، وأغلب الفتيات لا يتجاوزن 27 سنة وأكثرهنّ بين 16 و 18 سنة. إذا تجاوزت المرأة الثلاثين لا تجد من يأبه بها، وهنّ يعرفن ذلك جيّدا ... يعرفن بأنّ السنين معدودة ومع ذلك لا يدّخرن مالا إلاّ نسبة قليلة منهنّ.

هناك نساء مدخولهنّ قليل جدّا، يحدث ذلك عندما تكون المرأة متقدّمة في السّنّ وجدّ فقيرة، وهي تخرج لأنّها أحيانا لا تجد ما تقتات به، وقد تصادف من تقضي معه الليلة وفي الصباح قد لا يعطيها شيئا، وهناك من يكون ابن ناس فيعطيها 50 درهما أو 100 درهم، وهناك من تأخذ قدرا قليلا جدّا، يحصل ذلك في أمكنة رديئة أشبه بالماخور حيث تحصل على 15 درهما أو 20 مقابل الليلة، أي أن المكان يكون قذرا في بيت امرأة حيث توجد النّساء، وعندما يأتي رجل تستقبله صاحبة البيت وتخبره بأثمانهن وهنّ غالبا ما يكنّ متقدّمات في السّنّ. وعندما

يستعد الرجل للخروج يمنح ربّة البيت الثمن، وهي بدورها تعطي المرأة القدر الذي اتفقتا عليه وهو قليل جدّا.

أخرج دائما في المساء، أحيانا أبيت في الخارج وأحيانا أعود إلى البيت على الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا، بواسطة سيارة أجرة عندما أخرج من المقهى أو النّادي الليلي حينما لا أتوفّق في إيجاد زبون.

لا أخاف رغم أن الوقت متأخر جدا لأنّ هناك فتيات كثيرات في مثل حالتي يغادرن المكان ويأخذن سيّارات الأجرة، وعندما أجد أحدا أقضي معه الليلة لا أعود حتّى الصّباح... وربّما أعود إذا لم أتفاهم معه أو حصلت لي معه مشكلة. أحيانا هناك رجال يبحثون عن الخناقة بأي ثمن، آنذاك أحصل على القدر المتفق عليه وأعود فورا.

هناك مشاكل كثيرة (تنهدات ! !) وهناك من تعرّضت للسرقة ليلا وجرّدت من مالها وحليها ... قد تقدّم شكوى في مركز الشرطة ولكنّها لا تستطيع التصريح بحقيقة ما حصل لها فعلا، إذ لو أخبرتهنّ بأنّ الاعتداء عليها وقع في المكان الفلاني، لسألوها عمّا كانت تفعله هناك في ذلك الوقت، وقد يلقون عليها القبض بتهمة الفساد.

هل أخاف ؟ طبعا ! الخوف ضروري، مثلا عندما تكونين مع أحد في فندق ما، وتداهمكما الشرطة فجأة ... آنذاك يقتادون الجميع إلى المركز ... الخطر دائما وارد، والعديد من الفتيات أمضين عقوبة 3 أو 6 أشهر في السّجن بتهمة الفساد.

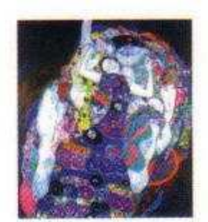
سنة 1985

محتويات الكتاب

البغـــاء
أو
الجسد المستباح

"أوّل مرة خرجت فيها مع أحدهم، أعطانـي 200 درهـم، أتدرين ما فعلت ؟ أخذت ولاّعة وأشعلت فيها النار وتركتها تحترق في منفضة السّجائر ومكثت أنظر إليها هنيهة ثـم استدرت وخرجت دون أن أودّعه ... بم أحسست؟ لا أدري ! كنت غاضبة ومحتاجة إلى أن أصرخ بأنّني بعت نفسي لأوّل مرة في حياتي ... إنّه شعور فظيع لن أنساه طيلة الحياة".

TARANA



Klimt 1913
الفتاة التي تصبح امرأة

ISBN 9981-25-201-8
9 789981 252011